الجنة حقيقية

قصة مذهلة لصبي صغير عن رحلته إلى الجنة وعودته

تود بوربو بالإشتراك مع لين فينسن

«الحق أقول لكم: إن لم تتغيروا وتصيروا مثل الأطفال الصغار، فلن تدخلوا ملكوت السماوات». يسوع الناصري

المحتويات

المقدمة

الملائكة تستحضر عطلة الرابع من يوليو ذكريات المسيرات الوطنية وروائح الشواء المدخن اللذيذة والذرة الحلوة والسماء الليلية المليئة بوابل من الضوء. ولكن بالنسبة لعائلتي، كانت عطلة نهاية الأسبوع الرابعة من يوليو عام ٢٠٠٣ حدثًا كبيرًا لأسباب أخرى. لقد خططت أنا وزوجتي سونيا لأخذ الأطفال لزيارة شقيق سونيا، ستيف، وعائلته في سيوكس فولز، داكوتا الجنوبية. ستكون هذه أول فرصة لنا لمقابلة ابن

أخينا، بينيت، المولود قبل شهرين. بالإضافة إلى ذلك، لم يسبق لأطفالنا، كاسي وكولتون، أن زاروا الشلالات من قبل. (نعم، يوجد بالفعل سيوكس فولز في سيوكس فولز.) لكن الأمر الأكبر من ذلك كله كان هذا: ستكون هذه الرحلة هي المرة الأولى التي نغادر فيها مسقط رأسنا إمبريال، نبراسكا، منذ أن تحولت رحلة عائلية إلى جريلي، كولورادو، في مارس إلى أسوأ كابوس في حياتنا. بصراحة، في آخر مرة قمنا فيها برحلة عائلية، كاد أحد أطفالنا أن يموت. أطلق علينا مجانين، لكننا كنا قلقين بعض الشيء هذه المرة، لدرجة أننا لم نرغب في الذهاب. الآن، بصفتي قسًا، لست مؤمنًا بالخرافات. ومع ذلك، شعر جزء غريب وغير مستقر مني أنه إذا التزمنا بالبقاء بالقرب من المنزل، فسنكون آمنين. أخيرًا، ومع ذلك، انتصر المنطق – وإغراء مقابلة بينيت الصغير، الذي أخبرنا ستيف أنه أجمل طفل في العالم. لذلك حزمنا ما يكفي من أغراض عطلة نهاية الأسبوع في سيارة فورد إكسبيديشن الزرقاء الخاصة بنا وأعددنا عائلتنا للتوجه شمالًا. قررت أنا وسونيا أن أفضل خطة هي إنجاز معظم القيادة ليلًا. بهذه الطريقة، حتى لو كان كولتون مربوطًا في مقعد سيارته ضد رغبته البالغة من العمر أربع سنوات، فأنا طفل كبير، على الأقل سينام معظم الرحلة. لذا كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة مساءً بقليل عندما خرجت من ممر السيارات الخاص بنا، ووجهت السيارة متجاوزًا كنيسة كروسرودز ويسليان، رعيتي، ووصلت إلى الطريق السريع ٦١. انتشر الليل صافيًا ومشرقًا عبر السهول، أبيض نصف قمري مقابل سماء مخملية. إمبريال هي بلدة زراعية صغيرة تقع داخل الحدود الغربية لولاية نبراسكا. مع وجود ألفي نسمة فقط وصفر إشارات مرور، فهي نوع البلدة التي تضم كنائس أكثر من البنوك، حيث يتدفق المزارعون مباشرة من الحقول إلى المقهى المملوك للعائلة وقت الغداء، مرتدين أحذية العمل من نوع ولفيرين وقبعات جون ديري بيسبول وكماشة لإصلاح الأسوار تتدلى من أوراكهم. لذا كانت كاسي، البالغة من العمر ست سنوات، وكولتون متحمسين للانطلاق في

الطريق إلى "مدينة سيوكس فولز الكبيرة" لمقابلة ابن عمهما حديث الولادة. تبادل الأطفال أطراف الحديث لمسافة تسعين ميلاً إلى مدينة نورث بلات، حيث خاض كولتون معارك الأبطال الخارقين وأنقذ العالم عدة مرات في الطريق. لم تكن الساعة قد قاربت العاشرة مساءً عندما وصلنا إلى المدينة التي يبلغ عدد سكانها حوالي أربعة وعشرين ألف نسمة، والتي يعود الفضل في شهرتها إلى أنها مسقط رأس رجل الاستعراض الشهير في الغرب المتوحش، بوفالو بيل كودي. ستكون نورث بلات آخر محطة متحضرة تقريبًا – أو على الأقل آخر محطة مفتوحة – سنمر بها في تلك الليلة بينما نتجه شمال شرقًا عبر مساحات شاسعة من حقول الذرة الخالية من كل شيء باستثناء الغزلان والدراج ومزرعة عرضية. لقد خططنا مسبقًا للتوقف هناك لملء خزان الوقود وبطوننا. بعد أن ملأنا خزان الوقود في محطة سنكلير، توجهنا إلى شارع جيفيرز، ولاحظت أننا نمر عبر إشارة المرور حيث إذا انعطفنا يسارًا، سننتهي في المركز الطبي الإقليمي في جريت بلينز. هناك قضينا خمسة عشر يومًا كابوسية في شهر مارس، معظمها على ركبنا، ندعو الله أن ينقذ حياة كولتون. لقد فعل الله ذلك، لكنني وسونيا نمزح بأن هذه التجربة حلت سنوات من حياتنا. أحيانًا يكون الضحك هو الطريقة الوحيدة للتعامل مع الأوقات الصعبة، لذلك عندما مررنا بالمنعطف، قررت أن أسخر من كولتون قليلاً. قلت: "مهلاً يا كولتون، إذا انعطفنا هنا، يمكننا العودة إلى المستشفى". "هل تريد العودة إلى المستشفى؟" ضحك طفلنا في مرحلة ما قبل المدرسة في الظلام. "لا يا أبي، لا ترسلني! أرسل كاسي... يمكن لكاسي أن تذهب إلى المستشفى!" جلست بجانبه، ضحكت أخته. "لا–لا! لا أريد الذهاب أيضًا!" في مقعد الراكب، استدارت سونيا حتى تتمكن من رؤية ابننا، الذي كان مقعد سيارته متوقفًا خلف مقعدي. تخيلت تسريحة شعره الأشقر القصيرة وعيناه الزرقاوان السماويتان تلمعان في الظلام. قالت سونيا: "هل تتذكر المستشفى يا كولتون؟" قال: "نعم يا أمي، أتذكر". "هناك حيث غنت لي الملائكة." داخل البعثة،

تجمد الوقت. تبادلنا أنا وسونيا النظرات، مرسلين رسالة صامتة: هل قال للتو ما أعتقد أنه قاله؟ انحنت سونيا وهمست، "هل تحدث إليك عن الملائكة من قبل؟" هززت رأسي. "وأنت؟" هزت رأسها. لمحت مطعم أربيز، ودخلت إلى موقف السيارات، وأطفأت المحرك. تسرب ضوء أبيض من مصباح الشارع إلى البعثة. التفت في مقعدي، ونظرت إلى كولتون. في تلك اللحظة، أذهلني صغره، طفولته. لقد كان في الحقيقة مجرد فتى صغير لا يزال يتحدث ببراءة محببة (وأحيانًا محرجة) كما لو كنت تراها. إذا كنت أحد الوالدين، فأنت تفهم ما أعنيه: السن الذي قد يشير فيه الطفل إلى امرأة حامل ويسأل (بصوت عالٍ جدًا)، "أبي، لماذا هذه السيدة سمينة جدًا؟" كان كولتون في تلك النافذة الضيقة من الحياة حيث لم يتعلم بعد اللباقة أو المكر. كل هذه الأفكار تومض في ذهني وأنا أحاول معرفة كيفية الرد على إعلان طفلي البالغ من العمر أربع سنوات البسيط بأن الملائكة قد غنت له. أخيرًا، انغمست: "كولتون، قلت إن الملائكة غنت لك أثناء وجودك في المستشفى؟" أومأ برأسه بقوة. "ماذا غنوا لك؟" رفع كولتون عينيه إلى أعلى وإلى اليمين، في موقف التذكر. حسنًا، لقد غنوا "يسوع يحبني" و"جوشوا خاض معركة أريحا"، قال بجدية. "طلبت منهم أن يغنوا "سنفعل، سنهزك"، لكنهم رفضوا غنائها." وبينما كانت كاسي تضحك بهدوء، لاحظت أن إجابة كولتون كانت سريعة وواقعية، دون أدنى تردد. تبادلنا أنا وسونيا النظرات مرة أخرى. ماذا يحدث؟ هل كان لديه حلم في المستشفى؟ وسؤال آخر غير مذكور: ماذا نقول الآن؟ خطر ببالي سؤال طبيعي: "كولتون، كيف كان شكل الملائكة؟" ضحك على ما بدا أنه ذكرى. "حسنًا، بدا أحدهم مثل الجد دينيس، لكنه لم يكن هو، لأن الجد دينيس يرتدي نظارات." ثم أصبح جادًا. "أبي، جعل يسوع الملائكة يغنون لي لأنني كنت خائفة جدًا. لقد جعلوني أشعر بتحسن." يسوع؟ نظرتُ إلى سونيا مجددًا فرأيتُ فمها مفتوحًا. التفتُّ إلى كولتون. "هل تقصد أن يسوع كان هناك؟" أومأ ابني الصغير برأسه كما لو أنه لم يُخبرني بشيءٍ أكثر

غرابةً من رؤية خنفساء في الفناء الأمامي. "أجل، كان يسوع هناك." "حسنًا، أين كان يسوع؟" نظر كولتون في عينيّ مباشرةً. "كنتُ أجلس في حضن يسوع." إن كانت هناك أزرار إيقاف في المحادثات، فكانت تلك واحدةً منها هناك. ذهلت أنا وسونيا لدرجة الصمت، فنظرنا إلى بعضنا البعض ومررنا برقيةً صامتةً أخرى: حسنًا، نحن بحاجةٍ حقًا للتحدث عن هذا. ترجلنا جميعًا من السيارة ودخلنا إلى مطعم أربي، وخرجنا بعد بضع دقائق حاملين كيسًا من الطعام. تبادلنا أنا وسونيا الهمسات. "هل تعتقد أنه رأى ملائكةً حقًا؟" "ويسوع؟!" "لا أعرف." "هل كان حلمًا؟" "لا أعرف – يبدو متأكدًا جدًا." عند عودتي إلى السيارة الرياضية متعددة الاستخدامات، وزعت سونيا شطائر لحم البقر المشوي وكعكات البطاطس، وتجرأت على طرح سؤال آخر. "كولتون، أين كنت عندما رأيت يسوع؟" نظر إليّ وكأنه يقول، ألم نتحدث عن هذا للتو؟ "في المستشفى. كما تعلم، عندما كان الدكتور أوهوليران يعالجني." "حسنًا، لقد عمل الدكتور أوهوليران عليك بضع مرات، أتذكر؟" قلت. خضع كولتون لجراحة استئصال الزائدة الدودية الطارئة ثم تنظيف البطن في المستشفى، وبعد ذلك أخذناه لإزالة بعض الندبات الجدرية، ولكن ذلك كان في عيادة الدكتور أوهوليران. "هل أنت متأكد من أنه كان في المستشفى؟" أومأ كولتون. "نعم، في المستشفى. عندما كنت مع يسوع، كنت تصلي، وكانت أمي تتحدث على الهاتف." ماذا؟ هذا يعني بالتأكيد أنه كان يتحدث عن المستشفى. ولكن كيف عرف أين كنا؟ "لكنك كنت في غرفة العمليات يا كولتون،" قلت. "كيف عرفتِ ما كنا نفعله؟" "لأنني كنتُ أراكِ،" قال كولتون ببساطة. "خرجتُ من جسدي ونظرتُ إلى الأسفل، فرأيتُ الطبيب يُجري عملية جراحية على جسدي. ورأيتُكِ أنتِ وأمي. كنتِ في غرفة صغيرة وحدكِ، تُصلين؛ وأمي كانت في غرفة أخرى، وكانت تُصلي وتتحدث على الهاتف." هزتني كلمات كولتون في الصميم. كانت عينا سونيا أوسع من أي وقت مضى، لكنها لم تقل شيئًا، فقط حدقت بي وقضمت شطيرتها بغفلة. كانت هذه كل المعلومات التي

استطعتُ استيعابها في تلك اللحظة. شغّلتُ المحرك، وقُدتُ السيارة إلى الشارع، ووجهتُنا نحو داكوتا الجنوبية. عندما وصلتُ إلى الطريق السريع I-٨٠، كانت المراعي مُمتدة على كلا الجانبين، مُنقطة هنا وهناك ببرك البط التي تتلألأ في ضوء القمر. بحلول ذلك الوقت، كان الوقت قد تأخر جدًا، وسرعان ما كان الجميع ينامون كما هو مخطط لهم. بينما كان الطريق يُصدر طنينًا تحتي، دهشتُ مما سمعتُه للتو. قال ابننا الصغير كلامًا لا يُصدق، ودعمه بمعلومات موثوقة، أمورٌ لم يكن ليعلمها. لم نُخبره بما كنا نفعله أثناء خضوعه للجراحة، تحت التخدير، فاقدًا للوعي على ما يبدو. مرارًا وتكرارًا، ظللتُ أسأل نفسي: كيف له أن يعلم؟ ولكن عندما عبرنا حدود ولاية داكوتا الجنوبية، راودني سؤالٌ آخر: هل يُمكن أن يكون هذا حقيقيًا؟ كان من المفترض أن تكون رحلة العائلة، عندما بدأ كابوسنا، احتفالًا. في أوائل مارس ٢٠٠٣، كان من المقرر أن أسافر إلى غريلي، كولورادو، لحضور اجتماع مجلس إدارة مقاطعة كنيسة ويسليان. في بداية شهر أغسطس السابق، مرّت عائلتنا بظروف صعبة: سبعة أشهر متتالية من الإصابات والمرض، شملت كسرًا في الساق، وجراحتين جراحيتين، وخوفًا من السرطان، وقد استنزفت جميعها حسابنا المصرفي لدرجة أنني كدتُ أسمع أصواتًا مزعجة عندما وصلت الكشوفات بالبريد. لم يتأثر راتبي الصغير كقسيس، لكن مصدر دخلنا الرئيسي كان شركة أبواب الجراجات العلوية التي نملكها. تكبدت تجاربنا الطبية خسائر فادحة. لكن بحلول فبراير، بدا أننا تجاوزنا كل ذلك. ولأنني اضطررت للسفر على أي حال، قررنا أن نجعل من رحلة اجتماع مجلس الإدارة علامة فارقة في حياتنا العائلية - وقتًا نستمتع فيه قليلًا، وننعش عقولنا وأرواحنا، ونبدأ من جديد بأمل جديد. سمعت سونيا عن مكان رائع للأطفال خارج دنفر يُدعى "جناح الفراشات". تم الإعلان عن "حديقة حيوانات اللافقاريات" في عام ١٩٩٥ كمشروع تعليمي من شأنه أن يعلم الناس عن عجائب الحشرات وكذلك المخلوقات البحرية، والأنواع التي تعيش في برك المد والجزر. في

هذه الأيام، يتم الترحيب بالأطفال خارج حديقة الحيوانات من خلال تمثال معدني شاهق وملون لفرس النبي. ولكن في عام ٢٠٠٣، لم تكن الحشرة العملاقة قد اتخذت موقعها بعد، لذلك لم يصرخ المبنى الطوب المنخفض على بعد حوالي خمس عشرة دقيقة من وسط مدينة دنفر "جاذبية الأطفال!" من الخارج. ولكن في الداخل، كان ينتظر عالم من العجائب، وخاصة للأطفال في سن كولتون وكاسي. كان أول مكان توقفنا فيه هو "Um-See-A-Crawl"، وهي غرفة مليئة بأحواض زجاجية تضم مخلوقات زاحفة من الخنافس إلى الصراصير إلى العناكب. جذب أحد المعروضات، برج التارانتولا، كاسي وكولتون مثل المغناطيس. كانت هذه المجموعة من الحاويات الزجاجية، تمامًا كما هو مُعلن عنها، عبارة عن برج من الموائل الزجاجية التي تحتوي على نوع من العناكب ذات الأرجل السميكة والفرويّة التي إما أن تُبهرك أو تُثير اشمئزازك. تناوبت كاسي وكولتون على تسلق كرسي قابل للطي بثلاث درجات لإلقاء نظرة على سكان الطوابق العليا من برج التارانتولا. في أحد الحاويات الزجاجية، كانت عنكبوت تارانتولا أشقر مكسيكي يجلس في زاوية، وكان هيكله الخارجي مغطى بما وصفه ملصق المعرض بأنه شعر بلون باهت "جميل". احتوى موطن آخر على عنكبوت تارانتولا أحمر وأسود موطنه الهند. كان أحد السكان الأكثر رعبًا هو "عنكبوت التارانتولا الهيكلي"، والذي سمي بهذا الاسم لأن أرجله السوداء كانت مقسمة بأشرطة بيضاء بحيث بدا العنكبوت أشبه بالأشعة السينية في الاتجاه المعاكس. سمعنا لاحقًا أن هذا العنكبوت الهيكلي كان متمردًا بعض الشيء: ففي إحدى المرات، دبرت بطريقة ما عملية هروب من السجن، وغزت الموطن المجاور، وأكلت جارتها على الغداء. بينما قفز كولتون على مسند القدمين ليرى شكل العنكبوت الذئبي، نظر إليّ بابتسامة أثلجت صدري. شعرتُ بعضلات رقبتي ترتخي، وفي داخلي انفرج صمام ضغط، وهو ما يعادل تنهدًا طويلًا في مشاعري. لأول مرة منذ شهور، شعرتُ أنني أستطيع ببساطة الاستمتاع بعائلتي. قالت كاسي، مشيرةً إلى

أحد أحواض الزجاج: "يا إلهي، انظروا إلى هذا!". ابنتي، البالغة من العمر ست سنوات، نحيفة بعض الشيء، ذكية كالسوط، وهي سمة ورثتها من والدتها. كانت كاسي تشير إلى لافتة المعرض، التي كُتب عليها: "آكل الطيور الجالوت... يمكن أن يصل طول الإناث إلى أكثر من إحدى عشرة بوصة".كان طول العنكبوت الموجود في هذا الحوض حوالي ست بوصات فقط، لكن جسمه كان سميكًا مثل معصم كولتون. حدق من خلال الزجاج بعينين واسعتين. نظرت ورأيت سونيا تجعد أنفها. أعتقد أن أحد حراس حديقة الحيوانات المتطوعين رأى تعبيرها أيضًا، لأنه سارع للدفاع عن آكل الطيور. قال بنبرة ودية وتعليمية: "الجالوت من أمريكا الجنوبية"، "إنهم ليسوا مقرفين كما تعتقد. إن العناكب من أمريكا الشمالية والجنوبية مطيعة للغاية. يمكنك حتى حمل واحدة هناك." وأشار إلى مكان كان فيه حارس حديقة حيوانات آخر يحمل عنكبوتًا أصغر في راحة يده حتى تتمكن مجموعة من الأطفال من إلقاء نظرة عن كثب. انطلقت كاسي عبر الغرفة لترى سبب كل هذه الضجة، بينما كنت أنا وسونيا وكولتون في المؤخرة. في زاوية من الغرفة المزينة لتبدو وكأنها كوخ من الخيزران، كان الحارس يعرض النجمة بلا منازع في لعبة Um-See-A-Crawl، روزي العنكبوت. كانت روزي، وهي عنكبوتية وردية الشعر من أمريكا الجنوبية، عنكبوتًا فرويًا بجسم كبير وأرجل يبلغ طولها ست بوصات، سميكة مثل أقلام الرصاص. لكن أفضل شيء في روزي من وجهة نظر طفل هو أنه إذا كنت شجاعًا بما يكفي لحملها، حتى للحظة واحدة، فإن حارس حديقة الحيوانات سيكافئك بملصق. الآن، إذا كان لديك أطفال صغار، فأنت تعلم بالفعل أن هناك أوقاتًا يفضلون فيها الحصول على ملصق جيد على حفنة من النقود. وكان هذا الملصق مميزًا: أبيض مع صورة عنكبوت مختوم باللون الأصفر، مكتوب عليه، "لقد حملت روزي!" لم يكن هذا مجرد ملصق عادي؛ لقد كانت وسام شجاعة! انحنت كاسي على يد الحارس. نظر إلي كولتون، وعيناه الزرقاوان

متسعتان. "هل يمكنني الحصول على ملصق يا أبي؟" "يجب أن تحمل روزي للحصول على ملصق يا صديقي." في ذلك العمر، كان لدى كولتون هذه الطريقة الثمينة في الحديث، جزء منها جاد وجزء منها لاهث وعجب يا إلهي. كان فتىً صغيرًا ذكيًا ومضحكًا ذو نظرة سوداء وبيضاء للحياة. كان هناك شيء ما إما ممتعًا (ليغو) أو لا يكون (باربي). كان يحب الطعام (لحم البقر) أو يكرهه (الفاصوليا الخضراء). كان هناك أناس طيبون وأشرار، وكانت ألعابه المفضلة هي شخصيات الأشرار المتحركة. كان الأبطال الخارقون أمرًا مهمًا بالنسبة لكولتون. كان يأخذ معه شخصيات سبايدر مان وباتمان وباز لايتيير المتحركة أينما ذهب. وبهذه الطريقة، سواء كان عالقًا في المقعد الخلفي للسيارة الرياضية متعددة الاستخدامات أو في غرفة الانتظار أو على الأرض في الكنيسة، لا يزال بإمكانه إنشاء مشاهد ينقذ فيها الأشرار العالم. وعادةً ما يتضمن ذلك السيوف، سلاح كولتون المفضل لطرد الشر. في المنزل، يمكن أن يكون البطل الخارق. كنت غالبًا ما أدخل المنزل وأجد كولتون مسلحًا حتى الأسنان، وسيف لعبة مطوية في كل جانب من حزامه وواحد في كل يد: "أنا ألعب زورو يا أبي! هل تريد اللعب؟" الآن حول كولتون نظره إلى العنكبوت في يد الحارس، وبدا لي وكأنه يتمنى لو كان لديه سيف في تلك اللحظة، على الأقل للدعم المعنوي. حاولت أن أتخيل مدى ضخامة العنكبوت بالنسبة لرجل صغير لم يكن طوله حتى أربعة أقدام. كان ابننا صبيًا تمامًا – طفلًا قاسيًا ومتقلبًا اقترب شخصيًا من الكثير من النمل والخنافس والمخلوقات الزاحفة الأخرى. لكن لم يكن أي من تلك الزواحف المخيفة كبيرًا مثل وجهه وشعره طويلًا تقريبًا مثل شعره. استقامت كاسي وابتسمت لسونيا. "سأحملها يا أمي. هل يمكنني حمل روزي؟" قالت سونيا "حسنًا، ولكن سيتعين عليك انتظار دورك". اصطفت كاسي خلف طفلين آخرين. لم تترك عينا كولتون روزي أبدًا حيث حمل صبي أولاً ثم فتاة العنكبوت الضخم ومنح حارس حديقة الحيوانات الملصقات المرغوبة. في لمح البصر، جاءت لحظة الحقيقة

لكاسي. استند كولتون على ساقيّ، قريبًا بما يكفي لرؤية أخته، لكنه حاول الهرب في الوقت نفسه، دافعًا ركبتيّ للخلف. مدّت كاسي كفّها وشاهدنا جميعًا روزي، وهي يد عجوز تحمل بشرًا صغارًا فضوليين، ترفع ساقًا فروية واحدة في كل مرة وتندفع عبر الجسر من يد الحارس إلى يد كاسي، ثم تعود إلى يد الحارس. قال الحارس: "لقد فعلتها!" بينما صفّقنا أنا وسونيا وهتفنا. "أحسنتِ!" ثم وقف حارس حديقة الحيوانات، ونزع ملصقًا أبيض وأصفر من لفافة كبيرة، وأعطاه لكاسي. وهذا، بالطبع، جعل الأمر أسوأ بالنسبة لكولتون، الذي لم يتفوق عليه أخته فحسب، بل أصبح الآن أيضًا طفل بوربو الوحيد الذي لا يحمل ملصقات. نظر بحنين إلى جائزة كاسي، ثم نظر إلى روزي مرة أخرى، ورأيته يحاول التغلب على خوفه. أخيرًا، ضمّ شفتيه، وأبعد نظره عن روزي، ثم نظر إليّ. "لا أريد أن أحملها." قلتُ: "حسنًا، لكن هل يمكنني الحصول على ملصق؟" "لا، الطريقة الوحيدة للحصول على واحد هي أن تحملها. كاسي فعلت ذلك. يمكنك فعل ذلك إن أردت. هل تريد المحاولة؟ لحظة واحدة فقط؟" نظر كولتون إلى العنكبوت، ثم إلى أخته، ورأيت أفكارًا تدور خلف عينيه: كاسي فعلت ذلك. لم تلدغها. ثم هز رأسه بحزم: لا. "لكنني ما زلت أريد ملصقًا!" أصر. في ذلك الوقت، كان كولتون على بُعد شهرين من بلوغه الرابعة من عمره – وكان بارعًا جدًا في الثبات. قالت سونيا: "الطريقة الوحيدة للحصول على ملصق هي أن تحمل روزي". أجاب كولتون وهو يمسك بيد سونيا ويحاول سحبها بعيدًا عن الحارس: "هل أنت متأكد من أنك لا تريد حملها؟" "لا. أريد أن أذهب لرؤية نجم البحر." "هل أنت متأكد؟" قالت سونيا. مع إيماءة قوية، سار كولتون نحو باب Um-See-A-Crawl. قس جوب الثاني في الغرفة المجاورة، وجدنا صفوفًا من أحواض السمك و"برك المد والجزر" الداخلية. تجولنا حول المعروضات، مستمتعين بنجم البحر والرخويات وشقائق النعمان البحرية التي بدت وكأنها أزهار تحت الماء. أطلق كاسي وكولتون صيحات الإعجاب والإعجاب عندما غمسوا أيديهم في برك

المد والجزر التي صنعها الإنسان ولمسوا مخلوقات لم يروها من قبل. بعد ذلك، دخلنا إلى ردهة ضخمة، مليئة بأوراق الغابة، والكروم المتساقطة، والفروع المتسلقة نحو السماء. استمتعت بأشجار النخيل والزهور الغريبة التي بدت كما لو كانت قادمة من إحدى كتب قصص كولتون. ومن حولنا، كانت غيوم الفراشات ترفرف وتدور. بينما كان الأطفال يستكشفون، عدتُ بذاكرتي إلى الصيف الماضي، عندما لعبتُ أنا وسونيا في دوري البيسبول المختلط، كما نفعل كل عام. كنا عادةً ننتهي ضمن الخمسة الأوائل، رغم أننا كنا نلعب في فريق "كبار السن" – أي أشخاص في الثلاثينيات من عمرهم – ضد فرق مكونة من طلاب جامعيين. الآن، بدا لي من المفارقات أن تجربة عائلتنا التي استمرت سبعة أشهر بدأت بإصابة حدثت في المباراة الأخيرة من آخر بطولة لنا في موسم ٢٠٠٢. كنتُ ألعب في مركز الوسط، وسونيا تلعب في مركز لاعبة الميدان الخارجي. بحلول ذلك الوقت، كانت سونجا قد حصلت على درجة الماجستير في علوم المكتبات، وكانت بالنسبة لي أجمل مما كانت عليه عندما لفتت انتباهي لأول مرة كطالبة جديدة تتجول في ساحة كلية بارتلسفيل ويسليان. كان الصيف على وشك الانتهاء، لكن أيام الحر الشديد كانت في أوج قوتها بحرارة نفاذة، متعطشة للمطر. سافرنا من إمبريال حوالي عشرين ميلاً على الطريق إلى قرية واونيتا لبطولة إقصاء مزدوجة. في منتصف الليل تقريبًا، كنا نكافح من أجل الصعود عبر القوس، نلعب تحت وهج أضواء الملعب الأزرق والأبيض. لا أتذكر النتيجة، لكنني أتذكر أننا كنا في نهاية المباراة وكان التقدم في متناول اليد. كنت قد ضربت ضربة مزدوجة وكنت جالسًا على القاعدة الثانية. جاء ضاربنا التالي وضرب كرة هبطت على عشب وسط الملعب. رأيت فرصتي. بينما ركض لاعب خارجي لالتقاط الكرة، انطلقت إلى القاعدة الثالثة. شعرت بالكرة تتجه نحو الملعب الداخلي. أشار مدرب القاعدة الثالثة لدينا بجنون: "انزلاق! انزلاق!" الأدرينالين يضخ، سقطت على الأرض وشعرت بالتراب الأحمر ينزلق تحت وركي

الأيسر. مدّ لاعب القاعدة الثالثة للفريق الآخر يده التي تحمل القفاز للكرة و– طقطقة! كان صوت كسر ساقي مرتفعًا جدًا لدرجة أنني تخيلت أن الكرة قد انطلقت من الملعب الخارجي وضربتها. انفجرت النار في قصبتي وكاحلي. سقطت على ظهري، وتقلصت في وضع الجنين، وسحبت ركبتي لأعلى حتى وصلت إلى بطني. كان الألم حارقًا، وأتذكر أن التراب من حولي تحول إلى ضبابية من الساقين، ثم وجوه قلقة، بينما ركض اثنان من لاعبينا، وكلاهما من فنيي الطوارئ الطبية، لمساعدتي. أتذكر بشكل خافت أن سونيا هرعت لإلقاء نظرة. استطعت أن أقول من تعبيرها أن ساقي كانت منحنية بطرق لم تبدو طبيعية. تراجعت إلى الوراء لتسمح لأصدقائنا من فنيي الطوارئ الطبية بالعمل. بعد رحلة لمسافة عشرين ميلًا، كشفت الأشعة السينية في المستشفى عن كسرين سيئين. أصبت قصبة الساق، وهي العظمة الأكبر في أسفل ساقي، بما يسميه الأطباء "كسرًا حلزونيًا"، مما يعني أن كل طرف من الكسر بدا وكأنه نمط عمود الحلاق على مثقاب. أيضًا، انكسر كاحلي تمامًا إلى نصفين. ربما كان هذا هو الكسر الذي سمعته. علمت لاحقًا أن صوت الطقطقة كان مرتفعًا جدًا لدرجة أن الناس الجالسين في المدرجات في القاعدة الأولى سمعوه. تردد هذا الصوت في ذهني وأنا وسونيا نشاهد كاسي وكولتون يركضان أمامنا في ردهة جناح الفراشات. توقف الأطفال على جسر صغير وأطلوا على بركة كوي، وهم يثرثرون ويشيرون. طافت حولنا أسراب من الفراشات، فألقيت نظرة على الكتيب الذي اشتريته من مكتب الاستقبال لأرى إن كنت أستطيع تمييز أسمائها. كانت هناك "طائرات مورفوس زرقاء" بأجنحة، و"طائرات ورقية" زرقاء داكنة، و"طائرات ورقية" بالأبيض والأسود، تطير ببطء ولطف كقطع من ورق الجرائد تطفو في الهواء، و"الكبريت الصافي"، وهي فراشة استوائية بأجنحة بلون المانجو الطازج. في هذه المرحلة، كنت سعيدًا جدًا لأنني تمكنت أخيرًا من المشي دون عرج. فإلى جانب ألم المنشار الناتج عن الكسر الحلزوني، كان التأثير المباشر لحادثي ماليًا.

من الصعب جدًا صعود ونزول السلالم لتركيب أبواب المرآب وأنت تجر جبيرة تزن عشرة أرطال وركبة لا تنحني. انخفض رصيدنا المصرفي فجأةً وبسرعة. براتب قسٍّ بسيط، تبخر ما كان لدينا من احتياطي ضئيل في غضون أسابيع. في غضون ذلك، تقلص دخلنا إلى النصف. لكن ألم ذلك تجاوز المال. خدمتُ كرجل إطفاء متطوع ومدرب مصارعة في المدرسة الثانوية، وهما التزامان تأثرتا بسبب إصابة ساقي. أصبحت أيام الأحد تحديًا أيضًا. أنا من أولئك القساوسة الذين يمشون ذهابًا وإيابًا أثناء العظة. لستُ رجلًا متدينًا أو متعصبًا، لكنني لستُ قسًا هزيل الكلام يرتدي ثيابًا كهنوتية، ويؤدي قراءات طقسية. أنا راوي قصص، ولكي أروي القصص، عليّ أن أتحرك قليلًا. لكن الآن، كان عليّ أن أعظ جالسًا وساقي مرفوعة على كرسي ثانٍ، بارزة كذراع شراع. كان طلب الجلوس أثناء إلقائي عظة الأحد أشبه بطلب من إيطالي أن يتكلم دون استخدام يديه. ولكن على الرغم من معاناتي الشديدة من إزعاج إصابتي، لم أكن أعلم حينها أنها ستكون أول قطعة دومينو تسقط. في صباح أحد أيام أكتوبر، وفي الوقت الذي اعتدت فيه على المشي بعكازات، استيقظت على نبض خفيف في أسفل ظهري. عرفت على الفور ما هي المشكلة: حصوات الكلى. في المرة الأولى التي أصبت فيها بحصوة في الكلى، كان حجمها ستة ملليمترات وتطلبت جراحة. هذه المرة بعد جولة من الفحوصات، اعتقد الأطباء أن الحصوات صغيرة بما يكفي لتجاوزها. لا أعرف ما إذا كان ذلك أمرًا جيدًا، مع ذلك: لقد تجاوزتها لمدة ثلاثة أيام. لقد ضربت إصبعي الأوسط ذات مرة في صندوق سيارة وقطعت طرفه. كان ذلك أشبه بخبز الكعك مقارنة بهذا. حتى كسر ساقي إلى أربع قطع لم يكن مؤلمًا بنفس القدر. ومع ذلك، فقد نجوت. بحلول شهر نوفمبر، كنت أتعثر على عكازات لمدة ثلاثة أشهر، وذهبت لإجراء فحص. قال طبيب العظام: "الساق تلتئم بشكل صحيح، لكننا ما زلنا بحاجة إلى إبقاء الجبيرة عليها". "هل هناك أي شيء آخر يزعجك؟" في الواقع، كان هناك. شعرت بغرابة بعض الشيء عند

ذكره، لكن الجانب الأيسر من صدري قد تطور لديه عقدة أسفل سطح الحلمة مباشرة. أنا أيمن وكنت أتكئ على عكازي الأيسر كثيرًا أثناء الكتابة، لذلك اعتقدت أن وسادة الإبط الموجودة على هذا العكاز قد احتكت بصدري على مدار أسابيع، مما تسبب في نوع من التهيج تحت الجلد، وهو نوع من المسامير. استبعد الطبيب ذلك على الفور. قال: "العكازات لا تفعل ذلك". "يجب أن أتصل بجراح". أجرى الجراح، الدكتور تيموثي أوهوليران، خزعة بالإبرة. صدمتني النتائج التي ظهرت بعد بضعة أيام: تضخم. الترجمة: مقدمة لسرطان الثدي. سرطان الثدي! رجل مصاب بكسر في الساق وحصوات في الكلى و– هيا، حقًا؟– سرطان الثدي؟ لاحقًا، عندما علم قساوسة آخرون في منطقتي بالأمر، بدأوا ينادونني القس جوب، تيمّنًا بالرجل في سفر الإنجيل الذي يحمل الاسم نفسه والذي أصيب بسلسلة من الأعراض الغريبة المتزايدة. أما الآن، فقد أمر الجراح بنفس الشيء الذي كان سيأمر به لو أن خزعة المرأة جاءت بنفس النتائج: استئصال الثدي. سونيا، المرأة القوية من الغرب الأوسط، تعاملت مع الخبر بواقعية. لو كانت الجراحة هي ما أمر به الطبيب، فهذا هو الطريق الذي سنسلكه. سنتجاوزها كعائلة. شعرتُ بنفس الشعور. ولكن في ذلك الوقت أيضًا بدأت أشعر بالأسف على نفسي. أولًا، لقد سئمت من المشي على العكازات. كما أن استئصال الثدي ليس الجراحة الأكثر رجولة في العالم. أخيرًا، كنتُ أطلب من مجلس الكنيسة لفترة طويلة تخصيص مبلغ من المال لي لمساعد. فقط بعد هذه الجولة الثانية من حصوات الكلى، صوّت المجلس على الموافقة على المنصب. بدلاً من الشعور بالامتنان كما ينبغي، انغمست في الاستياء: إذًا عليّ أن أكون مقعدًا وعلى وشك الإصابة بالسرطان لأحصل على القليل من المساعدة هنا؟ لقد بدأت حفلة الشفقة الخاصة بي حقًا في إحدى بعد الظهيرة. كنت في الطابق الأول من مبنى الكنيسة، وهو قبو مكتمل، في الواقع، حيث كان لدينا مطبخ وفصل دراسي ومنطقة زمالة كبيرة. انتهيت للتو من بعض الأعمال الورقية وبدأت في

الصعود إلى الطابق العلوي على عكازي. في الأسفل، على الدرجة الأولى، بدأت أغضب من الله. "هذا ليس عدلاً"، تمتمت بصوت عالٍ، بينما كنت أكافح صعود الدرج، عكازًا تلو الآخر، خطوة تلو الأخرى. "يجب أن أعاني وأن أكون في هذه الحالة المزرية حتى يقدموا لي المساعدة التي كنت بحاجة إليها طوال الوقت". شعرت بالرضا عن نفسي في استشهادي، وكنت قد وصلت للتو إلى الطابق العلوي عندما ارتفع صوت هادئ خافت في قلبي: وماذا فعل ابني من أجلك؟ بتواضعٍ وخجلٍ من أنانيتي، تذكرتُ ما قاله يسوع للتلاميذ: "ليس التلميذُ أفضلَ من مُعلِّمه، ولا العبدُ أفضلَ من سيِّده".١ صحيحٌ أنني مررتُ ببضعةِ أشهرٍ صعبة، لكنها لم تكن شيئًا مقارنةً بما يمرُّ به الكثيرُ من الناس في العالم، حتى في تلك اللحظة بالذات. لقد أنعم الله عليّ بمجموعةٍ صغيرةٍ من المؤمنين الذين كُلِّفتُ برعايتهم وخدمتهم، وها أنا ذا أتذمَّرُ من الله لأن هؤلاء المؤمنين لم يخدموني. قلتُ: "يا رب، اغفر لي"، وانحنيتُ إلى الأمام بقوةٍ متجددة، كما لو كانت عكازاتي أجنحةَ نسور. الحقيقةُ هي أن كنيستي كانت تخدمني – تُحبُّني من خلال وقتٍ خاصٍّ للصلاة خصصوه. في صباحٍ من صباحِ بدايةِ ديسمبر، اتصل بي الدكتور أوهوليران في المنزلِ بخبرٍ غريب: لم يكن النسيجُ حميدًا فحسب؛ بل كان طبيعيًا تمامًا. نسيجُ ثديٍ طبيعي. قال: "لا أستطيعُ تفسيرَ السببِ". "أظهرت الخزعة بالتأكيد تضخمًا، لذا توقعنا أن نرى الشيء نفسه في أنسجة الثدي التي أُزيلت أثناء استئصال الثدي. لكن الأنسجة كانت طبيعية تمامًا. لا أعرف ماذا أقول. لا أعرف كيف حدث ذلك." كنت أعرف: لقد أحبني الله بمعجزة صغيرة. ثلاثة كولتون يتغلب على ذلك في الشهر التالي، تم إزالة الجبيرة. مع خوف السرطان وحصوات الكلى خلفنا، قضيت شهرين في تعلم المشي مرة أخرى، أولاً بجبيرة للمشي، ثم بعرج مزعج للغاية، أعمل ببطء على استعادة عضلاتي الضامرة إلى صحتها مرة أخرى. بحلول شهر فبراير، حققت أخيرًا بعض الاستقلالية – في الوقت المناسب تمامًا لاجتماع مجلس إدارة منطقة طائفتنا

الكنسية في غريلي، كولورادو، والمقرر عقده في الأسبوع الأول من شهر مارس. قالت لي سونيا قبل أسبوعين من اجتماع المجلس: "عليك الابتعاد. ابتعد واستمتع قليلاً." الآن، ها نحن ذا في جناح الفراشات. رفرفت فراشة ملكية، وأجنحتها البرتقالية الزاهية مقسمة باللون الأسود مثل الزجاج الملون.تنفست الصعداء لأن رحلتنا حدثت أصلاً. قبل يومين، يوم الخميس، بدأ كولتون يخبر سونيا أن معدته تؤلمه. كنت بالفعل في غريلي، وفي ذلك الوقت، كانت سونيا تُدرّس فصلًا دراسيًا من الدرجة الأولى في مدرسة إمبريال الثانوية. ولأنها لا ترغب في تحميل المدرسة على حساب بديل، سألت صديقتنا العزيزة نورما دانات إن كان بإمكانها رعاية كولتون في منزلها حتى تتمكن سونيا من الذهاب إلى العمل. وافقت نورما، التي كانت بمثابة عمة مفضلة لأطفالنا، على الفور. ولكن في منتصف النهار، رن هاتف سونيا المحمول. كانت نورما: لقد تدهورت حالة كولتون بشكل حاد. كان يعاني من حمى وقشعريرة، وكان طوال الصباح مستلقيًا بلا حراك تقريبًا على أريكة نورما، ملفوفًا ببطانية. قالت نورما، بقلق واضح: "يقول إنه يتجمد، لكنه يتعرق بجنون". وقالت إن جبين كولتون كان مغطى بحبات عرق بحجم الدموع. عاد زوج نورما، برايان، إلى المنزل، وألقى نظرة واحدة، وقرر أن كولتون مريض بما يكفي للذهاب إلى غرفة الطوارئ. اتصلت بي سونيا في غريلي بالخبر، وفجأة، رأيت رحلتنا للاحتفال بنهاية سلسلة من الإصابات والأمراض التي تم إلغاؤها بسبب ... المرض. خرجت سونيا من العمل مبكرًا، وأخذت كولتون من منزل نورما، وأخذته إلى الطبيب، الذي كشف أن أنفلونزا المعدة كانت تشق طريقها في جميع أنحاء المدينة. طوال تلك الليلة، ظلت رحلتنا معلقة في الهواء. بشكل منفصل، في غريلي وإمبريال، صلينا أنا وسونيا أن يشعر كولتون بتحسن كافٍ للقيام بالرحلة، وبحلول الصباح، تلقينا إجابتنا: نعم! خلال الليل، انخفضت حمى كولتون وبحلول ظهر يوم الجمعة، عاد إلى طبيعته القديمة. اتصلت بي سونيا لتخبرني: "نحن في طريقنا!" الآن، في جناح الفراشات، نظرت

سونيا إلى ساعتها. كان من المقرر أن نلتقي ستيف ويلسون، قس كنيسة غريلي ويسليان، وزوجته ريبيكا، لتناول العشاء في ذلك المساء، وكان الأطفال لا يزالون يرغبون في السباحة في مسبح الفندق. لم تكن هناك أي فرصة لسباحةهم في إمبريال في مارس، لذا كانت هذه فرصة نادرة. قالت سونيا: "حسنًا، ربما يجب أن نعود إلى الفندق". نظرت إليها ثم إلى كولتون. "مهلاً يا صديقي، حان وقت الرحيل. هل ما زلت متأكدًا من أنك لا تريد حمل روزي؟" قلت. "آخر فرصة للحصول على ملصق. ما رأيك؟" لعبت المشاعر على وجه كولتون مثل أشعة الشمس والغيوم في جبهة جوية سريعة الحركة. بحلول ذلك الوقت، كانت حتى أخته الكبرى تسخر منه قليلاً بسبب خوفه. بينما كنت أشاهد، ضيّق كولتون عينيه وعقد فكه: أراد ذلك الملصق. قال: "حسنًا، سأحملها. ولكن قليلاً فقط." قبل أن يغير رأيه، عدنا جميعًا إلى Um-See-A -Crawl، وحاصرت الحارس. قلت: "هذا كولتون، ويريد أن يجرب". ابتسم الحارس وانحنى. "حسنًا، كولتون، هل أنت مستعد؟" مدّ ابننا يده وهو جامد كاللوح، وانحنيت وحملتها في يدي. قال الحارس: "الآن، هذا سهل للغاية، كولتون. فقط ضع يدك بشكل مسطح وثابت. روزي لطيفة للغاية. لن تؤذيك". رفع الحارس يده، وتسللت روزي إلى يد كولتون ثم عادت إلى يد الحارس المنتظرة على الجانب الآخر، ولم تبطئ أبدًا. انفجرنا جميعًا في الهتاف وصفقنا لكولتون عندما سلمه الحارس ملصقه. لقد واجه خوفه! لقد كان انتصارًا كبيرًا له. بدت اللحظة وكأنها الكريمة على كعكة يوم مثالي. عندما غادرنا جناح الفراشات، استرجعتُ ذكريات الأشهر القليلة الماضية. كان من الصعب تصديق أن كسر الساق، وحصوات الكلى، وخسارة العمل، والضغط المالي، وثلاث عمليات جراحية، والخوف من السرطان، كل ذلك حدث في غضون نصف عام. في تلك اللحظة، أدركتُ لأول مرة أنني كنتُ أشعر وكأنني في قتال. لشهور، كنتُ متأهبًا، أنتظر اللكمة التالية التي قد تُلقيها الحياة. أما الآن، فقد شعرتُ براحة تامة لأول مرة منذ الصيف

الماضـي. لـو أننـي تركـتُ عقلـي يـدور مـع اسـتعارة الملاكمـة هـذه لفتـرة أطـول قلـيلاً، لربما توصلتُ إلى استنتاجها المنطقي: في مباراة الملاكمة، يمتص المقاتلون بعض الضربات القاسية لأنهم مستعدون لها. وعادةً ما تكون الضربة القاضية هي التي لم يتوقعوها. أربع إشارات دخان في وقت لاحق من ذلك المساء، وبعد سباحة تحت أحزمتهم، جلست كاسي وكولتون في كشك دائري كبير في مطعم أولد شيكاغو في جريلي، كولورادو، يلونون بسعادة بينما كنت أنا وسونيا نتحدث مع القس ستيف ويلسون وزوجته ريبيكا. كنا قد تناولنا بالفعل بعض الأطعمة الإيطالية الرائعة، بما في ذلك الأطباق المفضلة للأطفال المعتادة – البيتزا والمعكرونة وخبز الثوم. كان ستيف قسيسًا كبيرًا لكنيسة يبلغ عدد سكانها ما بين ١٥٠٠ و٢٠٠٠ شخص – وهو عدد يقارب عدد سكان مسقط رأسنا إمبريال. كانت فرصة لي ولسونيا للتعرف على قس آخر في منطقتنا والحصول على بعض الأفكار حول كيفية قيام القساوسة الآخرين بالخدمة. خططنا لزيارة كنيسة ستيف، جريلي ويسليان، في اليوم التالي. أرادت سونيا بشكل خاص إلقاء نظرة على كيفية عمل برنامج الأطفال صباح الأحد في الكنيسة. قسمت ريبيكا وقتها بين المحادثة مع الكبار والتلوين مع الأطفال. قالت: "رائع يا كولتون، لقد أحسنت صنعًا في تلوين البيتزا!" ابتسم كولتون ابتسامة خفيفة مهذبة، لكنه صمت على غير عادته. ثم بعد دقائق، قال: "أمي، معدتي تؤلمني". تبادلنا أنا وسونيا نظرة. هل كانت إنفلونزا المعدة قد عادت؟ وضعت سونيا ظهر يدها على خد كولتون وهزت رأسها. "لا تشعر بالحر يا عزيزتي". قال كولتون: "أعتقد أنني سأتقيأ". قالت كاسي: "أنا أيضًا لا أشعر بالراحة يا أمي". ظننا أن السبب هو شيء أكلاه. ولأن كلا الطفلين كانا مريضين، أنهينا عشاءنا مبكرًا، وودّعنا عائلة ويلسون، وعدنا إلى الفندق، الذي كان يقع مقابل موقف السيارات مباشرةً للمطعم. بمجرد أن فتحنا باب غرفتنا، تحققت نبوءة كولتون: تقيأ، بدءًا من السجادة وانتهاءً بسونيا التي أخذته إلى الحمام الصغير، المرحاض. واقفًا عند مدخل الحمام، شاهدت

جسد كولتون الصغير ينحني ويتشنج. لم يبدو هذا كأي نوع من التسمم الغذائي. لا بد أن تكون إنفلونزا المعدة، فكرت. رائع. هكذا بدأت الأمسية. استمرت مع تقيؤ كولتون كل ثلاثين دقيقة بشكل منتظم. بين الحين والآخر، جلست سونيا على كرسي جانبي منجد وكولتون في حجرها، وحافظت على دلو الثلج في الغرفة في متناول اليد في حالة عدم تمكنها من الوصول إلى الحمام. بعد حوالي ساعتين من هذه الدورة، انضم طفل آخر إلى الحفلة. بينما كان كولتون في الحمام، يتقيأ في المرحاض وسونيا راكعة بجانبه، ويدها مثبتة على ظهره، ركضت كاسي وتقيأت في حوض الاستحمام. "تود!" نادت سونيا. "أحتاج إلى القليل من المساعدة هنا!" رائع، فكرت. الآن كلاهما مصاب به. أم أنهم مصابون به بالفعل؟ بعد أن تمكنا من إعادة الطفلين إلى غرفة النوم، وضعت أنا وسونيا رؤوسنا معًا. بدا أن كولتون قد تخلص من إنفلونزا المعدة تلك في اليوم السابق. وطوال اليوم في جناح الفراشات، كان على طبيعته، سعيدًا تمامًا باستثناء إجهاد حمل روزي للحصول على ذلك الملصق. كانت كاسي قد حملت روزي أيضًا ... هل يمكن لعناكب الرتيلاء العملاقة أن تسبب حالة من التقيؤ المزدوج؟ لا يا غبي، قلت لنفسي ودفعت الفكرة جانبًا. سألت سونيا، التي كانت مستلقية في ذلك الوقت على أحد الأسرة المزدوجة وذراع واحدة حول كل من طفلينا الأخضرين عند الخياشيم: "هل أكل الأطفال الشيء نفسه في المطعم؟" نظرت إلى السقف وفكرت للحظة. "أعتقد أن كلاهما تناول بعض البيتزا ... لكننا جميعًا تناولنا البيتزا. أعتقد أنها تلك الإنفلونزا. ربما لم يتعافى كولتون منها تمامًا بعد، ونقلها إلى كاسي قبل أن نصل إلى هنا. قال الطبيب إنها معدية جدًا." بغض النظر عما يحدث، بدا الأمر كما لو أن رحلة احتفالنا المريحة بعد الاضطرابات تقترب من نهايتها فجأة. وبعد دقائق قليلة، سمعتُ الكلمات السحرية التي بدت وكأنها تؤكد أفكاري: "ماما، أشعر وكأنني سأتقيأ مجددًا". أمسكت سونيا بكولتون ودفعته إلى الحمام مجددًا، في اللحظة المناسبة تمامًا. عندما بدأ ضوء الفجر الوردي يتسلل من

خلال الستائر في صباح اليوم التالي، كانت سونيا لا تزال مستيقظة. كنا قد اتفقنا على أن يذهب أحدنا على الأقل لزيارة جامعة غريلي ويسليان والحصول على بعض المعرفة المتعلقة بخدمة الكنيسة الكبرى التي يمكننا نقلها إلى جامعة إمبريال، لذلك حاولتُ أن أنام قليلًا على الأقل. هذا ترك سونيا مع واجبات الرضاعة، والتي تضمنت رحلة ذهابًا وإيابًا كل ساعة تقريبًا إلى الحمام مع كولتون. مرضت كاسي مرة واحدة فقط خلال الليل، ولكن مهما كانت هذه الحشرة، يبدو أنها قد تسللت إلى أحشاء ابننا الصغير وحفرت فيه بعمق. غادرنا الفندق مبكرًا وتوجهنا بالسيارة إلى منزل فيل وبيتي لو هاريس في غريلي، صديقانا المقربان، وهما أيضًا مشرفان على منطقة كنيسة ويسليان التي تشمل ولايتي كولورادو ونبراسكا. كانت الخطة الأصلية أن تحضر عائلتانا كنيسة آل ويلسون معًا ذلك الصباح. لكن الآن، ومع مرض طفلين، قررنا أن تبقى سونيا في منزل آل هاريس. تطوعت بيتي لو، السيدة اللطيفة، للبقاء في المنزل وتقديم المساعدة. عندما عدت من الكنيسة بعد الغداء مباشرة، أعطتني سونيا تقرير الحالة: كاسي تشعر بتحسن كبير. حتى أنها تمكنت من تناول القليل من الطعام وحافظت على بقائها في معدتها. لكن كولتون استمر في التقيؤ بشكل منتظم ولم يستطع الاحتفاظ بأي شيء في معدته. كان كولتون في غرفة معيشة آل هاريس، متكئًا في زاوية الأريكة الضخمة فوق بطانية/مفرش، ودلو بالقرب منه تحسبًا لأي طارئ. اقتربت منه وجلست بجانبه. "مرحبًا يا صديقي. ليس على ما يرام، أليس كذلك؟" هز كولتون رأسه ببطء، وامتلأت عيناه الزرقاوان بالدموع. ربما كنت في الثلاثينيات من عمري، لكن خلال الأشهر القليلة الماضية، تعلمت جيدًا معنى الشعور بالمرض والبؤس الشديدين لدرجة الرغبة في البكاء. تألم قلبي على ابني. قلت: "تعال هنا". ضممته إلى حضني ونظرت إلى وجهه الصغير المستدير. بدت عيناه، اللتان عادةً ما تكونان متألقتين ومرحين، باهتتين وضعيفتين. اقترب فيل وجلس بجانبي وراجع الأعراض: ألم في البطن، وقيء شديد، وحمى متقطعة. "هل

يمكن أن يكون التهاب الزائدة الدودية؟" فكرت في الأمر للحظة. كان هناك بالتأكيد تاريخ عائلي. انفجرت الزائدة الدودية لدى عمي، وأصبت بحالة خطيرة من التهاب الزائدة الدودية في الكلية خلال فترة مواعدتي لسونيا. أيضًا، استأصلت سونيا الزائدة الدودية عندما كانت في الصف الثاني. لكن الظروف هنا لم تكن مناسبة. شخّصه الطبيب في إمبريال بأنفلونزا المعدة. ولو كان التهاب الزائدة الدودية، لما كان هناك سببٌ لمرض كاسي أيضًا. قضينا ليلة الأحد مع عائلة هاريس في غريلي. وبحلول الصباح، كانت كاسي قد تعافت تمامًا، لكن كولتون قضى ليلةً ثانيةً يتقيأ. وبينما كنا نحزم حقائبنا ونتجه للخارج لتحميل الإكسبيديشن، حدّق فيل في كولتون، وهو بين ذراعي سونيا. "يبدو مريضًا جدًا بالنسبة لي يا تود. ربما يجب أن تأخذه إلى المستشفى هنا." ناقشنا أنا وسونيا هذا الخيار. جلسنا في صالات انتظار قسم الطوارئ مع طفل مريض من قبل، وكانت تجربتنا أنه ربما يمكننا قطع مسافة ثلاث ساعات بالسيارة للعودة إلى إمبريال قبل أن نُرى في قسم الطوارئ في مستشفى مترو دنفر. لذلك، اتصلنا مسبقًا بمستشفى إمبريال وحجزنا موعدًا مع طبيب عائلتنا المعتاد، الذي زاره كولتون يوم الجمعة السابق. شرحتُ سببنا لفيل. قال إنه يتفهم الأمر، لكنني استطعتُ أن ألاحظ أنه لا يزال قلقًا. وبعد مرور ساعة تقريبًا على الطريق، بدأتُ أعتقد أنه ربما كان مُحقًا. بالنسبة لسونيا، لفت انتباهنا أول إنذار عندما توقفنا عند متجر سيفوي خارج غريلي مباشرةً لشراء حفاضات. كان كولتون، الذي تدرب على استخدام الحمام لأكثر من عامين، يرتجف في ملابسه الداخلية. أثار قلق سونيا أنه لم يعترض حتى عندما وضعته في المقعد الخلفي لسيارة إكسبيديشن وساعدته في ارتداء حفاضات. في الظروف العادية، كان سيغضب قائلًا: "أنا لستُ طفلًا!" الآن، مع ذلك، لم يُصدر أي صوت. بدلًا من ذلك، بمجرد ربطه في مقعد سيارته، اكتفى بالتشبث ببطنه والتأوه. بعد ساعتين من القيادة، كان يبكي باستمرار، ويتوقف كل ثلاثين دقيقة تقريبًا ليتقيأ مرة أخرى. في مرآة الرؤية الخلفية، استطعتُ رؤية الحزن

والعجز على وجه سونيا. في هذه الأثناء، حاولتُ التركيز على الهدف: نقله إلى مستشفى إمبريال، وإعطائه بعض المحاليل الوريدية، وإيقاف الجفاف الذي لا بد أنه بدأ يتفاقم مع استمرار هذه الإنفلونزا. وصلنا إلى إمبريال في أقل من ثلاث ساعات. في المستشفى، أخذتنا ممرضة إلى غرفة الفحص بسرعة، وكانت سونيا تحمل كولتون، ممسكةً رأسه بكتفها كما كانت تفعل عندما كان رضيعًا. في غضون دقائق، انضم إلينا الطبيب الذي فحص كولتون يوم الجمعة، وأطلعناه على آخر المستجدات. بعد فحص سريع، طلب فحوصات دم وأشعة سينية، وأعتقد أنني التقطتُ أنفاسي لأول مرة منذ مغادرتنا غريلي. كان هذا تقدمًا. كنا نعمل على شيء ما. بعد فترة وجيزة، سنحصل على تشخيص، ربما وصفة طبية أو اثنتين، وسيكون كولتون في طريقه إلى الشفاء. أخذنا كولتون إلى المختبر، حيث صرخ بينما حاولت إحدى الفنيات جاهدةً العثور على وريد. تبع ذلك صور أشعة سينية كانت أفضل فقط لأننا أقنعنا كولتون بأنه لا توجد إبر. في غضون ساعة، عدنا إلى غرفة الفحص مع الطبيب. سألت سونيا الطبيب: "هل يمكن أن يكون التهاب الزائدة الدودية؟" هز رأسه. "لا. عدد خلايا الدم البيضاء لدى كولتون لا يتوافق مع التهاب الزائدة الدودية. ومع ذلك، نحن قلقون بشأن صور الأشعة السينية الخاصة به." نظرت إلى سونيا. في تلك اللحظة أدركنا أننا كنا نراهن على فيروس خطير حقًا. لم نكن مستعدين أبدًا لشيء أكثر خطورة. قادنا الطبيب إلى الردهة، حيث كانت هناك بالفعل صورة أشعة سينية مثبتة على جهاز إضاءة. عندما رأيت ما كان في الصورة، سقط قلبي في معدتي: أظهرت صورة الأشعة السينية لجذع ابننا الصغير ثلاث كتل داكنة. بدا الأمر كما لو أن أحشاءه قد انفجرت. بدأت سونيا تهز رأسها وانهمرت دموعها، التي كانت تحوم تحت السطح مباشرة، على خديها. سألت الطبيب: "هل أنت متأكد من أنه ليس التهاب الزائدة الدودية؟" "هناك تاريخ عائلي." قال لا مرة أخرى. "هذا ليس ما تظهره فحوصات الدم." "إذن ما الأمر؟" "لست متأكدًا،" قال. خمسة ظلال للموت

كان ذلك يوم الاثنين، ٣ مارس. وضعت الممرضات كولتون في غرفة وأدخلن له محلولًا وريديًا. تدلت حقيبتان من أعلى عمود من الفولاذ المقاوم للصدأ، واحدة للترطيب والأخرى بمضادات حيوية من نوع ما. صليتُ أنا وسونيا معًا من أجل كولتون. توقفت نورما مع لعبة كولتون المفضلة، وهي مجسم سبايدر مان. عادةً ما كانت عيناه تلمعان عند رؤية نورما أو سبايدر مان، لكن كولتون لم يتفاعل على الإطلاق. لاحقًا، أحضرت صديقتنا تيري أفضل صديق صغير لكولتون، ابنها هانتر، لزيارته. مرة أخرى، كان كولتون فاقدًا للوعي، يكاد يكون بلا حياة. جلست نورما على كرسي جانبي بالقرب من سرير كولتون، ونظرت إلى سونيا بوجه عابس. "أعتقد أنه يجب عليك اصطحابه إلى مستشفى الأطفال في دنفر." لكن في تلك اللحظة، كنا نثق بالأطباء، واثقين من أن كل ما يمكن فعله يُبذل. علاوة على ذلك، لم يكن كولتون في حالة تسمح له بالعودة إلى كولورادو. استمر كولتون في التقيؤ. تماسكت سونيا، تُواسيه، وتُمسك بقيئه، بينما كنتُ أقود سيارتي عائدًا إلى المنزل لأطمئن على بقية حياتنا. في الطريق، مررتُ بالكنيسة لأتأكد من أن المكان لم يحترق. تواصلتُ مع فنيي أبواب المرآب، ورددتُ على بعض المكالمات الهاتفية من عملاء جدد، وخرجتُ لإصلاح باب. طوال فترة غيابي عن المستشفى، كنتُ أُصلي. حتى خلال محادثاتي مع الآخرين، كانت صلواتي تتصاعد، كنوع من موسيقى الخلفية العقلية التي كانت ستكون في المقدمة – الأرض الوحيدة – لو لم يكن للحياة طريقة مُزعجة في التدفق. أمضت سونيا ليلة الاثنين في المستشفى، وبقيتُ في المنزل مع كاسي. صباح الثلاثاء، أخذتها إلى المدرسة.خلال بقية اليوم، بين مسؤوليات الكنيسة والشركة، كنت أدخل وأخرج من المستشفى كلما أمكنني، على أمل أن يتحسن الأمر. ولكن بدلاً من ذلك، في كل مرة كنت أدخل فيها غرفة كولتون، كنت أرى ابني الصغير ينزلق أكثر فأكثر في قبضة الوحش الغامض الذي يمسك به. لم يكن يتحسن فحسب؛ بل كانت حالته تسوء بشكل أسرع. بحلول عصر

اليوم الثاني، رأيت شيئًا أرعبني: ظل الموت. تعرفت عليه على الفور. كقس، تجد نفسك أحيانًا في مراقبة الموت. في مستشفى. دار رعاية. دار رعاية. هناك علامات دالة: يفقد الجلد لونه الوردي ويتلاشى إلى أصفر يرقان. التنفس صعب. العيون مفتوحة لكن الشخص غير حاضر. والأكثر دلالة على ذلك كله، غرق وسواد حول العينين. لقد رأيت هذه النظرة مرات عديدة، ولكن في سياق قد تتوقعه، في مريض يعاني من سرطان مميت أو في المراحل الأخيرة من الشيخوخة. أنت تعلم أن حياة ذلك الشخص على الأرض قد أصبحت أيامًا، ثم ساعات، ثم دقائق. كنت سأكون هناك لأواسي العائلة، لأدعو معهم بصلوات مثل، يا إلهي، من فضلك خذها قريبًا. من فضلك خذ ألمها. هذه المرة، على الرغم من ذلك، كنت أرى ظل الموت مرة أخرى – وكنت أراه على ابني. ابني الذي لم يبلغ الرابعة من عمره بعد. أصابني المنظر مثل رصاصة. صرخ صوت داخل رأسي، نحن لا نفعل شيئًا! أنا أسير بخطى ثابتة. كنت أرتدي أخاديد في أرضية غرفة كولتون، أعبر المساحة الصغيرة مرارًا وتكرارًا مثل أسد في قفص. كانت معدتي تتقلب. داخل صدري، كماشة غير مرئية تضغط على قلبي. إنه يزداد سوءًا، يا إلهي! ماذا نفعل؟ بينما كنت أسير ذهابًا وإيابًا، وجهت سونيا قلقها إلى دور مقدم الرعاية المشغول. كانت تنفخ وسادة كولتون، ورتبت بطانياته، وتأكدت من أنه لا يزال يشرب. كان دورًا كانت تلعبه لمنعه من الانفجار. في كل مرة كنت أنظر إليها، كنت أرى الانفعال يتزايد في عينيها. كان ابننا ينزلق بعيدًا، ومثلي، أرادت أن تعرف: ما. كان. خطأ؟ سيحضر الأطباء نتائج الاختبارات، نتائج الاختبارات، نتائج الاختبارات. ولكن لا إجابات، فقط ملاحظات عديمة الفائدة. "لا يبدو أنه يستجيب للدواء. لا أعرف ... أتمنى لو كان الجراح هنا." تصارعت أنا وسونيا مع الثقة. لم نكن أطباء. لم تكن لدينا خبرة طبية. أنا قس؛ وهي معلمة. أردنا أن نثق. أردنا أن نصدق أن المتخصصين الطبيين يفعلون كل ما في وسعهم. ظللنا نفكر، في المرة القادمة التي يدخل فيها الطبيب، سيكون

لديه نتائج اختبارات جديدة؛ سيغير الدواء؛ سيفعل شيئًا ما لإزالة نظرة الموت عن ابننا. لكنه لم يفعل. وجاءت نقطة عندما كان علينا أن نرسم الخط. سيكس نورث بلات يوم الأربعاء، أبلغنا طاقم مستشفى إمبريال بأننا سننقل كولتون إلى المركز الطبي الإقليمي جريت بلينز في نورث بلات. فكرنا في اقتراح نورما بمستشفى الأطفال في دنفر، لكننا شعرنا أنه من الأفضل البقاء بالقرب من قاعدة دعمنا. استغرق الأمر بعض الوقت لفحص كولتون، كما هو الحال في أي وقت تغادر فيه المستشفى، ولكن بالنسبة لنا بدا الأمر وكأنه أبدية. أخيرًا، دخلت ممرضة بأوراق الخروج ونسخة من نتائج اختبار كولتون ومظروف بني كبير مسطح يحتوي على الأشعة السينية الخاصة به. اتصلت سونيا مسبقًا بمكتب طبيب الأطفال الدكتور ديل شيبرد لإبلاغ طاقمه بأننا قادمون. في الساعة ١٠:٣٠ صباحًا، حملت كولتون من سرير المستشفى وصدمت من ترهل جسده. شعر وكأنه خرقة بين ذراعي. كان من الممكن أن يكون وقتًا رائعًا للذعر، لكنني حاولت أن أحافظ على هدوئي. على الأقل كنا نفعل شيئًا الآن. كنا نتخذ إجراءً. كان مقعد سيارة كولتون مربوطًا في المقعد الخلفي لسيارتنا الرياضية متعددة الاستخدامات. وضعته برفق، متسائلاً بينما كنت أربطه عن مدى سرعتي في رحلة التسعين دقيقة إلى نورث بلات. صعدت سونيا إلى المقعد الخلفي مع كولتون، مسلحة بطبق مستشفى بلاستيكي وردي لالتقاط القيء. كان اليوم مشمسًا ولكنه بارد. بينما كنت أقود السيارة الرياضية متعددة الاستخدامات إلى الطريق السريع ٦١، أدرت مرآة الرؤية الخلفية حتى أتمكن من رؤية كولتون. مرت عدة أميال في صمت؛ ثم سمعته يتقيأ في الوعاء. عندما انتهى، أوقفت السيارة حتى تتمكن سونيا من إفراغه على جانب الطريق. عدت إلى الطريق السريع، نظرت في المرآة ورأيت سونيا تنزلق فيلم الأشعة السينية من الظرف البني وتحمله في ضوء الشمس المتدفق. بدأت تهز رأسها ببطء، وامتلأت عيناها بالدموع. قالت، بصوتها المنكسر فوق الصور التي ستخبرني لاحقًا أنها محفورة في ذهنها إلى الأبد: "لقد

أفسدنا الأمر". أدرت رأسي للخلف بما يكفي لأرى الانفجارات الثلاثة الصغيرة التي كانت تحدق بها. بدت البقع المشوهة ضخمة في الصورة الشبحية لجذع كولتون الصغير. لماذا بدت أكبر بكثير الآن؟ "أنت محق. كان يجب أن نعرف،" قلت. "لكن الطبيب ..." "أعلم. ما كان يجب أن نستمع." لم يكن هناك أي توجيه لأصابع الاتهام، ولا لوم بعضنا البعض. لكننا كنا مستائين حقًا من أنفسنا. لقد حاولنا القيام بالشيء الصحيح في كل خطوة. قال الطبيب أشعة سينية؛ أجرينا أشعة سينية. قال الطبيب محاليل وريدية؛ أجرينا محاليل وريدية. قال الطبيب تحاليل دم؛ أجرينا تحاليل دم. لقد كان الطبيب، أليس كذلك؟ كان يعرف ما يفعله ... أليس كذلك؟ في كل نقطة تحول، حاولنا اتخاذ القرار الصحيح، لكننا اتخذنا القرارات الخاطئة، والآن يدفع كولتون ثمن ذلك. كان طفلاً عاجزًا يعاني من عواقب أخطائنا. خلفي، انهار كولتون بلا حراك في مقعد سيارته، وكان صمته أعلى من أي صوت سمعته في حياتي. هناك قصة في الكتاب المقدس عن الملك داود ملك إسرائيل. ارتكب داود الزنا مع بثشبع، زوجة أوريا، أحد جنود داود الموثوق بهم. ثم، في محاولة لتغطية خطيئته، أرسل داود أوريا إلى الخطوط الأمامية، حيث كان داود يعلم أنه سيُقتل. لاحقًا، جاء النبي ناثان إلى داود وقال، في جوهره، "انظر، الله يعلم ما فعلت، وهذه هي عواقب خطيئتك: الطفل الذي حملت به أنت وبثشبع لن يعيش".١ مزّق داود ثيابه وبكى وصلى وتوسل إلى الله. كان حزينًا جدًا لدرجة أنه عندما مات الطفل، خاف عبيده من المجيء وإخباره. لكن داود فهم الأمر، وعندما فعل، نهض واغتسل وأكل واهتم بالجنازة بهدوء. أربك سلوكه خدمه، الذين قالوا: "مهلاً، انتظر لحظة: ألم تكن في حالة ذعر قبل بضع دقائق؟ ألم تكن تتوسل وتبكي أمام الله؟ الآن أنت هادئ جدًا ... ما الأمر؟" أوضح ديفيد، "كنت آمل أن يغير الله رأيه. لكنه لم يفعل". في ذهنه، كان ديفيد يفعل ما في وسعه بينما لا يزال هناك شيء يمكنه فعله. عندما أفكر في تلك الرحلة إلى نورث بلات، هذا ما شعرت به. نعم، بدت الأشعة السينية سيئة،

وكان وجه ابني مغطى بالموت. لكنه لم يمت بعد. لم يكن الآن وقت الاستسلام والحزن. الآن هو وقت الصلاة والعمل. يا رب، دعنا نصل إلى هناك. دعنا نساعد ابننا. كأب، شعرت أنني أفسدت الأمر. ولكن ربما لا يزال هناك شيء يمكنني فعله لأنقذ نفسي. ربما كان هذا الأمل هو الشيء الوحيد الذي منعني من الانهيار. عبرنا خط نورث بلات حوالي الظهر واتجهنا مباشرةً إلى عيادة طبيب الأطفال. نزلتُ مسرعًا من السيارة الرياضية متعددة الاستخدامات ولفتُ كولتون ببطانية، وحملته بين ذراعيّ كرجل إطفاء. جمعت سونيا معداتنا وتبعتني إلى الداخل، وهي لا تزال تحمل وعاء المستشفى. عند مكتب الاستقبال، استقبلتنا امرأة لطيفة. قلتُ: "نحن عائلة بوربو. اتصلنا مُسبقًا من إمبريال بشأن ابننا". "ذهب الطبيب لتناول الغداء". ذهبنا لتناول الغداء؟! قلتُ: "لكننا اتصلنا مُسبقًا. كان يعلم أننا قادمون". قالت موظفة الاستقبال: "تفضلوا بالجلوس. سيعود الطبيب خلال عشر أو خمس عشرة دقيقة". أخبرتني طريقتها الروتينية أنها لم تشعر بإلحاحنا، وانفجر غضبٌ في داخلي. مع ذلك، حافظتُ على هدوئي في الظاهر. كان بإمكاني الصراخ والهتاف، لكن ذلك لم يكن ليجدي نفعًا. أنا أيضًا قس. ليس لدينا رفاهية فقدانها علنًا. وجدتُ أنا وسونيا مقعدًا في منطقة الانتظار، وبعد خمس عشرة دقيقة، وصل الطبيب. كان بمظهرٍ هادئٍ يدل على النضج – شعرٌ فضي، ونظارات، وشاربٌ أنيق. أعادنا طاقم التمريض إلى غرفة الفحص، وسلّمته سونجا علبة الفحوصات التي أحضرناها، بالإضافة إلى صور الأشعة السينية. فحص كولتون بإيجازٍ شديدٍ لدرجة أنني شعرتُ أنه ربما يُعوّض الوقت الضائع. قال: "سأطلب فحصًا مقطعيًا محوسبًا. ستحتاج إلى التوجه إلى المستشفى عبر الشارع". كان يقصد المركز الطبي الإقليمي في جريت بلينز. بعد عشر دقائق، وجدنا أنفسنا في عيادة التصوير في أهمّ نقاشٍ في حياتنا. سبعة "أعتقد أن هذا هو" "لااااا!" "لكن كولتون، عليك أن تشربه!" "لااااا! إنه يوه–كيي!" دوّت صرخات كولتون الاحتجاجية في أرجاء العيادة. كان مرهقًا للغاية،

وضعيفًا للغاية، ومتعبًا للغاية من تقيؤ أحشائه، والآن كنا نحاول جعله يشرب محلولًا سميكًا ورمليًا أحمر اللون لن يشربه شخص بالغ عاقل طواعيةً في مليون عام. أخيرًا، أخذ كولتون رشفة صغيرة، لكنه بعد ذلك قذفها مرة أخرى على الفور. انقضت سونيا لتلتقطها في الوعاء. قلت لفني التصوير: "إنه يتقيأ طوال الوقت". "كيف سيشربه؟" "أنا آسف يا سيدي ... عليه أن يشربه حتى نتمكن من الحصول على أفضل الصور." "من فضلك، اهدأ! من فضلك لا تجعلني أشربه يا أبي!" لقد جربنا كل شيء. لقد لعبنا دور الشرطي الجيد / الشرطي السيئ، سونيا تقنع بينما كنت أهدد. ولكن كلما أصبحت أكثر تماسكًا، زاد كولتون من شد أسنانه ورفض السائل اللزج. حاولت التفكير: "كولتون، إذا استطعت فقط إنزال هذا، يمكن للأطباء إجراء هذا الاختبار ويمكننا أن نجعلك تشعر بتحسن. ألا تريد أن تشعر بتحسن؟" شهقة. "نعم." "حسنًا، تفضل، اشرب." "لاااا! لا تجعلني!" كنا يائسين. إذا لم يشرب السائل، فلن يتمكنوا من إجراء فحص الأشعة المقطعية. بدون فحص الأشعة المقطعية، لن يتمكنوا من التشخيص. بدون تشخيص، لن يتمكنوا من علاج ابننا. احتدمت المعركة لمدة ساعة تقريبًا حتى خرج فني أخيرًا ورحمنا. "دعنا نمضي قدمًا ونأخذه. سنبذل قصارى جهدنا." داخل غرفة التصوير، وقفت سونيا مع الفني خلف درع الإشعاع بينما وقفت بجانب كولتون اللامبالي بينما حركته الطاولة المتحركة في أنبوب كبير ومخيف. أظهر الفني حنانًا وتعاطفًا، وأوقف الطاولة قبل أن يُدخل كولتون بالكامل داخل الجهاز، مما سمح له بإبقاء رأسه خارجًا حتى يتمكن من رؤيتي. عادت الآلة إلى الحياة، وحدق كولتون فيّ بعينين متورمتين من الألم. انتهى الاختبار في لمح البصر. مسح الفني الصور، ثم رافقنا خارج المختبر. لم يُعِدنا إلى غرفة الانتظار الرئيسية، بل إلى ممر معزول حيث اصطفت بضعة كراسي على الحائط. نظر إليّ الفني بنظرة قاتمة. "عليك الانتظار هنا"، قال. في ذلك الوقت، لم ألاحظ حتى أنه لم يطلب من كولتون ارتداء ملابسه. جلسنا نحن الثلاثة في الممر البارد الضيق،

وسونيا تحتضن كولتون، ورأسه على كتفها. كانت تبكي بثبات الآن. بالنظر في عينيها، استطعت أن أرى أن أملها قد تلاشى. لم يكن هذا المكان الطبيعي للانتظار. لقد فصلنا الفني. لقد رأى الصورة وعرف أنها شيء سيء. نظرت سونيا إلى كولتون، وهو مستلقٍ بين ذراعيها، ورأيت الأفكار تدور في رأسها. لقد فعلت هي وكولتون كل شيء معًا. كان هذا ابنها الصغير، صديقها. والأكثر من ذلك، كانت كرة النار الصغيرة ذات الشعر الأشقر والعينين الزرقاوين نعمة سماوية، وهبة شفاء بعد الطفل الذي فقدناه. قبل خمس سنوات، كانت سونيا حاملًا بطفلنا الثاني. كنا في غاية السعادة، ورأينا هذه الحياة الجديدة بمثابة اكتمال لعائلتنا. عندما كنا فقط نحن الاثنتين، كنا زوجين. عندما ولدت كاسي، أصبحنا عائلة. ومع اقتراب طفلنا الثاني، بدأنا نرى ملامح المستقبل – صور عائلية، منزل يملؤه ضجيج الطفولة المبهج، طفلان يتفقدان جواربهما صباح عيد الميلاد. ثم بعد شهرين من الحمل، فقدت سونيا الطفل، وتبددت أحلامنا الضبابية كفقاعات الصابون. استحوذ الحزن على سونيا. حقيقة طفل ضائع، حقيقة لن نعرفها أبدًا. مساحة فارغة حيث لم يكن هناك طفل من قبل. كنا حريصين على المحاولة مرة أخرى، لكننا كنا قلقين بشأن ما إذا كنا سنتمكن من إنجاب طفل آخر، مما زاد من بؤسنا. بعد بضعة أشهر، حملت سونيا مرة أخرى. كشفت فحوصات ما قبل الولادة المبكرة عن طفل سليم ينمو. ومع ذلك، تمسكنا ببعض التهاون، خائفين قليلاً من الوقوع في حب هذا الطفل الجديد كما فعلنا مع الطفل الذي فقدناه. ولكن بعد أربعين أسبوعًا، في ١٩ مايو ١٩٩٩، ولد كولتون تود بوربو ووقعنا في حبه. بالنسبة لسونيا، كان هذا الصبي الصغير هدية أكثر خصوصية مباشرة من يد أب سماوي محب. الآن، بينما كنت أشاهد وجهها فوق جسد كولتون الشاحب، استطعت أن أرى أسئلة مروعة تتشكل في ذهنها: ماذا تفعل يا الله؟ هل ستأخذ هذا الطفل أيضًا؟ بدا وجه كولتون مشدودًا وشاحبًا، ووجهه قمر صغير في الردهة الصارخة. أصبحت الظلال حول عينيه أعمق في تجاويف

أرجوانية داكنة. لم يعد يصرخ، أو حتى يبكي. لقد كان فقط ... ساكنًا. مرة أخرى ذكّرتني بأولئك المرضى المحتضرين الذين رأيتهم يحومون على العتبة بين الأرض والخلود. ملأت الدموع عينيّ، وطمست صورة ابني مثل المطر على زجاج النافذة. نظرت إليّ سونيا، ودموعها تتدفق. "أعتقد أن هذا هو"، قالت. ثمانية يغضبون من الله بعد خمس دقائق، خرج رجل يرتدي معطفًا أبيض من مختبر التصوير. لا أتذكر اسمه، لكنني أتذكر أن بطاقة اسمه تقول "أخصائي الأشعة". قال: "ابنك مصاب بتمزق في الزائدة الدودية". "إنه يحتاج إلى جراحة طارئة. إنهم جاهزون لك في التحضير الجراحي الآن. اتبعني". اندهشت أنا وسونيا، وسقطنا خلفه. ارتفعت الحرارة في صدغي. انفجار الزائدة الدودية؟ ألم يستبعد الطبيب في إمبريال ذلك؟ في غرفة التحضير الجراحي، وضعت سونيا كولتون على نقالة، وقبلت جبهته، وابتعدت بينما اقتربت الممرضة بكيس وريدي وإبرة. على الفور، بدأ كولتون في الصراخ والضرب. وقفتُ عند رأس ابني وأسندتُ كتفيه لأسفل، محاولةً تهدئته بصوتي. عادت سونيا إلى جانب كولتون، تبكي بصوتٍ عالٍ بينما ظلت تحاول تثبيت ذراعه وساقه اليسرى بجسدها. عندما رفعتُ رأسي، كانت غرفة التحضير مكتظة بالرجال والنساء الذين يرتدون المعاطف البيضاء وملابس الجراحة. قال أحدهم بلطف: "الجراح هنا. إذا خرجت وتحدثت معه، فسنتولى الأمر هنا". على مضض، دخلنا من الستارة، وصرخ كولتون: "أرجوك يا أبي! لا تذهب!" في الردهة، كان الدكتور تيموثي أوهوليران ينتظرنا. كان الدكتور أوهوليران هو الطبيب الذي أجرى لي عملية استئصال الثدي قبل أربعة أشهر. الآن أصبحت ملامحه كخطوط أفقية قاتمة. لم يُضيع الكلمات. "لقد تمزقت زائدة كولتون. إنه ليس في حالة جيدة. سندخل ونحاول تنظيفه." على الجانب الآخر من الستار، كان كولتون لا يزال يصرخ. "بابا! دادا–ايي!" صررت على أسناني، وأغلقت الصوت وحاولت التركيز على الطبيب. قالت سونيا: "سألنا عن انفجار الزائدة الدودية في إمبريال". "لقد استبعدوا ذلك". تخطى عقلي الماضي

ونظر إلى المستقبل، باحثًا عن الأمل. قلت: "كيف تعتقد أنه سيفعل؟" "علينا أن ندخل وننظفه. سنعرف المزيد عندما نجري له عملية جراحية." رنّت المسافات بين كلماته في أذني مثل أجراس الإنذار بينما دوّت صراخ كولتون في الممرات. ردًا على سؤال مباشر، لم يقدم لنا الطبيب أي ضمانات على وجه التحديد. في الواقع، الشيء الوحيد الذي قاله عن كولتون هو أنه في حالة سيئة. عاد ذهني إلى اللحظة التي اتصلت بي فيها سونيا في غريلي من إمبريال لتخبرني أن حمى كولتون قد انخفضت، وأنهم في طريقهم. ما بدا وكأنه نهاية إنفلونزا معوية، كان على الأرجح أول علامة على تمزق الزائدة الدودية. هذا يعني أن السم كان يملأ بطن ابننا الصغير لمدة خمسة أيام. هذا العدد يفسر شبح الموت الذي رأيناه عليه الآن. ويفسر أيضًا لماذا لم يمنحنا الدكتور أوهوليران أي أمل.أومأ الطبيب برأسه نحو الضجيج المنبعث من غرفة التحضير. "أعتقد أنه سيكون أفضل إذا أعادناه إلى غرفة العمليات وخدرناه، ثم وضعنا له المحلول الوريدي." تقدم نحو الستارة وسمعته يعطي الأمر. بعد لحظات، دفعت ممرضتان نقالة المريض عبر الستارة، ورأيت كولتون يتلوى. لوّى جسده الصغير، وأدار رأسه حتى ثبتني بعينيه الغائرتين. "أبي! لا تدعهم يأخذونني!" أتذكر عندما قلت إن القساوسة لا يملكون رفاهية فقدان صوابهم؟ كنت على وشك فقدان صوابي، واضطررت إلى الهرب. بعد التحدث إلى الطبيب ثم كتابة اسمي على ما بدا أنه مئات من نماذج التأمين، وكدت أركض، وجدت غرفة صغيرة بباب، انحنيت إلى الداخل وأغلقته خلفي بقوة. تسارعت نبضات قلبي. لم أستطع التقاط أنفاسي. اجتاحني اليأس والغضب والإحباط في موجات بدت وكأنها تضغط على أنفاسي. عندما يذعر الجميع، يتطلعون جميعًا إلى أبي – وخاصة عندما يكون أبي قسًا. والآن كنت أخيرًا في غرفة حيث لا أحد ينظر إليّ، وبدأت في الغضب على الله. "أين أنت؟ هل هذه هي الطريقة التي تعامل بها قساوستك؟! هل يستحق الأمر خدمتك؟" جيئة وذهابًا، كنت أسير في الغرفة، التي بدت وكأنها تضيق عليّ،

وأتقلص بالتأكيد كما كانت خيارات كولتون تتقلص. مرارًا وتكرارًا هاجمتني صورة واحدة: كولتون يُدفع بعيدًا، وذراعيه ممدودتان، ويصرخ لي لإنقاذه. عندها أدركت الأمر. لقد انتظرنا طويلًا جدًا. قد لا أرى ابني حيًا مرة أخرى. غمرت دموع الغضب عيني، وانسكبت على خدي. "بعد الساق، وحصوات الكلى، واستئصال الثدي، هكذا ستسمح لي بالاحتفال بنهاية فترة اختباري؟" صرخت على الله. "هل ستأخذ ابني؟" تسع دقائق كالجليد بعد خمسة عشر دقيقة، وربما أكثر، خرجت من تلك الغرفة وعيناي جافتان. كانت تلك هي المرة الأولى التي أكون فيها وحدي حقًا منذ بدء المحنة بأكملها. كنت أريد أن أكون قويًا من أجل سونيا، زوجًا قويًا من أجل زوجته. وجدتها في غرفة الانتظار، تستخدم آخر قطرات من بطارية هاتفها المحمول للاتصال بالأصدقاء والعائلة. عانقتها واحتضنتها وهي تبكي في قميصي حتى التصق صدري. استخدمت ما تبقى من بطارية هاتفي المحمول للاتصال بـ تيري، سكرتيرتي، التي كانت بدورها تقوم بتفعيل سلسلة الصلاة في الكنيسة. لم تكن هذه مكالمة طقسية. كنت متلهفًا للصلاة، متلهفًا لأن يطرق المؤمنون الآخرون أبواب السماء ويتوسلون من أجل حياة ابننا. من المفترض أن يكون القساوسة ركائز إيمان لا تتزعزع، أليس كذلك؟ ولكن في تلك اللحظة، كان إيماني معلقًا بخيط ممزق ويتآكل بسرعة. فكرتُ في الأوقات التي يقول فيها الكتاب المقدس إن الله يستجيب لدعاء، ليس للمرضى أو المُحتضرين، بل لدعاء أصدقائهم أو المُحتضرين – المُقعد مثلاً. عندما رأى يسوع إيمان أصدقاء الرجل، قال للمُقعد: "قم، خذ فراشك واذهب إلى بيتك".١ في تلك اللحظة، احتجتُ إلى استعارة قوة وإيمان بعض المؤمنين الآخرين. بعد أن أنهيتُ المكالمة مع تيري، جلستُ أنا وسونيا معًا وصليتُ، خائفين من الأمل وخائفين من عدمه. مرّ الوقت ببطء، والدقائق تمر بسرعة الأنهار الجليدية. بين أحاديث صامتة وأحاديث جانبية، ساد الصمت المُطبق في غرفة الانتظار. بعد تسعين دقيقة، دخلت ممرضة ترتدي زيًا أرجوانيًا، وقناعًا جراحيًا يتدلى

من رقبتها. "هل والد كولتون هنا؟" نبرة صوتها، وحقيقة أنها ممرضة وليست الدكتور أوهوليران، بثّت فيّ موجة من الأمل. ربما يكون الله كريمًا رغم غبائنا. ربما سيمنحنا يومًا آخر، فرصة أخرى. وقفتُ. "أنا والد كولتون." "سيد بوربو، هل يمكنك العودة؟ كولتون خرج من غرفة العمليات، لكننا لا نستطيع تهدئته. ما زال يصرخ، ويصرخ من أجلك." عندما كانوا ينقلون كولتون على كرسي متحرك، لم أستطع تحمل صراخه. الآن، فجأة، تمنيت سماع صراخه أكثر مما تمنيت سماعه في حياتي. بالنسبة لي، سيكون صوتًا جميلًا. جمعت أنا وسونيا أغراضنا وتبعنا الممرضة عائدين عبر الأبواب المزدوجة الواسعة المؤدية إلى جناح الجراحة. لم نصل إلى غرفة الإفاقة، لكننا التقينا بممرضتين تحملان كولتون على سرير متحرك عبر الممر. كان متيقظًا، ولاحظتُ أنه كان يبحث عني. كان رد فعلي الأول هو محاولة الاقتراب منه قدر الإمكان؛ أعتقد أنني كنت سأصعد معه على السرير المتحرك لو لم أكن أعتقد أن الممرضات قد يشعرن بالانزعاج قليلًا. توقفت الممرضات لفترة كافية لأتمكن أنا وسونيا من تقبيل وجه كولتون الصغير، الذي كان لا يزال يبدو شاحبًا ومتعبًا. قلت: "مرحبًا يا صديقي، كيف حالك؟" "مرحبًا يا أمي. مرحبًا يا أبي." دفئ شبح ابتسامة وجهه. عادت الممرضات إلى وضع النقالة، وبعد بضع دقائق وركوب المصعد، تم وضع كولتون في غرفة مستشفى ضيقة في نهاية ممر طويل. خرجت سونيا من الغرفة للحظة لتهتم ببعض الأعمال الورقية في محطة الممرضات، وبقيت جالسًا بجانب سرير كولتون على أحد تلك الكراسي الهزازة المغطاة بالشبك، أستمتع بحيوية ابني. يبدو الطفل الصغير أصغر حجمًا في سرير مستشفى مصمم للكبار. بوزن أقل من أربعين رطلاً، بالكاد رفع جسد كولتون الملاءة. لم تصل قدماه إلى أكثر من ثلث السرير. لا تزال الهالات السوداء تحيط بعينيه، لكن بدا لي أن زرقة عينيه كانت أكثر إشراقًا مما كانت عليه قبل ساعتين. "بابا؟" نظر إليّ كولتون بجدية. "ماذا؟" حدّق بي ولم يرفع عينيه عن عيني. "أبي، أنت تعلم أنني كدت

أموت." سيطر عليّ الخوف. أين سمع ذلك؟ هل سمع الطاقم الطبي يتحدث؟ هل سمع شيئًا قاله الفريق الجراحي، رغم التخدير؟ لأننا بالتأكيد لم نقل شيئًا عن اقترابه من الموت أمامه. خشيت أنا وسونيا أنه على شفا الموت، وعرفنا ذلك بعد أن علمنا أن زائدته الدودية كانت تُسرب السم في جسده لمدة خمسة أيام. لكننا كنا حريصين جدًا على عدم قول أي شيء أمام كولتون من شأنه أن يُخيفه. انغلق حلقي، كأول بادرة دموع. بعض الناس يُصابون بالذعر عندما يُريد أبناؤهم المراهقون التحدث عن الجنس. إذا كنت تعتقد أن هذا صعب، فحاول التحدث مع طفلك في مرحلة ما قبل المدرسة عن الموت. كان كولتون معي في دور رعاية المسنين، حيث أعطى الناس أحباءهم الإذن بالتخلي عن الحياة. لم أكن لأمنح ابني الإذن بالتوقف. لم نكن قد تجاوزنا المحنة بعد، ولم أكن أريده أن يعتقد أن الموت خيار. تمالكت نفسي وابتسمت لابني. "فكر فقط في التحسن، حسنًا يا صديقي؟" "حسنًا يا أبي." "نحن هنا معك طوال الطريق. نحن نصلي من أجلك." غيرت الموضوع. "والآن، ماذا يمكننا أن نحضر لك؟ هل تريد مجسماتك المتحركة من المنزل؟" لم يمض وقت طويل حتى وصل ثلاثة أعضاء من مجلس كنيستنا إلى المستشفى. كنا ممتنين للغاية لذلك. أحيانًا أتساءل، ماذا يفعل الناس عندما لا يكون لديهم عائلة ممتدة ولا كنيسة؟ في أوقات الأزمات، من أين يأتي دعمهم؟ بقيت كاسي مع نورما وبريان في إمبريال حتى تمكنت والدتي، كاي، من القيادة من أوليسيس، كانساس. تعيش عائلة بريان الممتدة في نورث بلات، وقد جاؤوا لمساعدتنا أيضًا. إن اجتماع كنيستنا حولنا في قلب العاصفة سيغير طريقة تعاملنا أنا وسونيا مع الزيارات الرعوية في أوقات المحن والأحزان. كنا مخلصين في ذلك سابقًا؛ والآن أصبحنا متشددين. سرعان ما عادت سونجا إلى الغرفة، وبعد ذلك بوقت قصير، انضم إلينا الدكتور أوهوليران. استلقى كولتون بهدوء بينما سحب الجراح الغطاء ليرينا موقع الشق، وهو خط أفقي يمتد على الجانب الأيمن من بطنه الصغير. كان الجرح مليئًا بشاش ملطخ بالدم، وعندما

بدأ في إزالته، أنين كولتون قليلاً من الخوف. لا أعتقد أنه شعر به بعد، لأنه كان لا يزال تحت تأثير التخدير الموضعي الذي وضعه الفريق الجراحي على موقع الشق. كانت أحشاء كولتون ملوثة بسم الزائدة الدودية الممزقة لدرجة أن الدكتور أوهوليران قرر أنه من الأفضل ترك جرحه مفتوحًا حتى يستمر في التصريف. الآن باعد الطبيب الجرح قليلاً. "هل ترى هذا النسيج الرمادي؟" قال. هذا ما يحدث للأعضاء الداخلية عند وجود عدوى. لن يتمكن كولتون من مغادرة المستشفى حتى يتحول كل ما هو رمادي بداخله إلى اللون الوردي. برز أنبوب بلاستيكي طويل من جانبي بطن كولتون. في نهاية كل أنبوب كان ما أسماه الطبيب "قنبلة يدوية". كانت مصنوعة من البلاستيك الشفاف، وبدت أشبه بالقنابل اليدوية، لكنها في الواقع كانت مضخات ضغط يدوية. في صباح اليوم التالي، أرانا الدكتور أوهوليران كيفية ضغط القنابل اليدوية لتصريف القيح من بطن كولتون ثم ملء الفتحة بشاش جديد. على مدار الأيام القليلة التالية، كان الدكتور أوهوليران يصل كل صباح لفحص الجرح وملء الضمادة. كان كولتون يصرخ بشدة خلال تلك الزيارات، وبدأ يربط الطبيب بكل ما يحدث له من مشاكل. في المساء، عندما لا يكون الطبيب موجودًا، كان عليّ أن أفرغ الجرح. قبل الجراحة، كانت سونيا تراقب القيء لمدة أسبوع تقريبًا، ومنذ الجراحة، كانت بجانب سرير كولتون كل دقيقة. لكن تجفيف القيح كان عملاً شاقًا، وبالنسبة لها، كان جسرًا بعيدًا جدًا. إلى جانب ذلك، استغرق الأمر ثلاثة بالغين على الأقل لإمساك كولتون. لذلك بينما كنت أضغط على القنابل اليدوية، ساعدت سونيا ممرضتين في إمساكه، وكانت سونيا تهمس بكلمات مهدئة بينما كان كولتون يصرخ ويصرخ. عشر صلوات من نوع غير عادي للغاية لمدة أسبوع آخر بعد استئصال الزائدة الدودية في حالات الطوارئ، استمر كولتون في التقيؤ، واستمررنا في ضخ السم من جسمه مرتين في اليوم باستخدام تجهيزات الدكتور أوهوليران من الأنابيب البلاستيكية والقنابل اليدوية. ببطء، تدريجيًا، تحسنت حالة كولتون. توقف التقيؤ،

وعاد لونه، وبدأ يأكل قليلاً. عرفنا أنه في تحسن عندما بدأ يجلس ويتحدث معنا، ويلعب بوحدة تحكم ألعاب الفيديو التي وضعتها الممرضات على سريره، وحتى أنه أبدى اهتمامًا بالأسد المحشو الجديد تمامًا الذي أحضرته له كاسي قبل عدة أيام. أخيرًا، بعد سبعة أيام من دخولنا المستشفى في نورث بلات، قال الفريق الطبي إنه يمكننا اصطحاب ابننا إلى المنزل. وكجنود بعد معركة طويلة ولكن منتصرة، كنت أنا وسونيا منهكين وسعداء للغاية. في ١٣ مارس، حزمنا جميع حطام إقامة طويلة في المستشفى في خليط من أكياس التسوق وحقائب السفر والأكياس البلاستيكية واتجهنا إلى المصاعد، كنت أدفع كولتون على كرسي متحرك وسونيا تحمل باقة سميكة من بالونات العودة إلى المنزل. بدأت أبواب المصعد تتغلق عندما ظهر الدكتور أوهوليران في الردهة وصرخ علينا حرفيًا للتوقف. "لا يمكنك الذهاب! لا يمكنك الذهاب!" تردد صدى صوته في الممر المبلط وهو يلوح برزمة من الورق في اتجاهنا. "لا تزال لدينا مشاكل!" أخبرنا الدكتور أوهوليران عندما لحق بنا عند المصعد أن فحص الدم في اللحظة الأخيرة كشف عن ارتفاع حاد في عدد خلايا الدم البيضاء لدى كولتون. قال: "ربما يكون خراجًا آخر". قد نضطر لإجراء عملية جراحية أخرى. ظننتُ أن سونيا ستفقد وعيها في تلك اللحظة. كنا حينها كالزومبي المتحركين، وكدنا نصل إلى أقصى حدّ من القدرة على التحمل. انفجر كولتون بالبكاء. كشف فحص مقطعي محوسب آخر عن جيوب جديدة من العدوى في بطن كولتون. في عصر ذلك اليوم، اضطر الدكتور أوهوليران وفريقه الجراحي إلى فتح بطن ابننا الصغير مرة أخرى وتنظيفه مرة أخرى. هذه المرة، لم نكن أنا وسونيا مرعوبين؛ فقد زال شبح الموت عن وجه كولتون منذ زمن طويل. لكن الآن أصبح لدينا قلق جديد: لم يأكل كولتون منذ ما يقرب من عشرة أيام. كان وزنه حوالي أربعين رطلاً فقط في البداية، والآن ذاب تمامًا بحيث بدت مرفقاه وركبتاه كبيرتين بشكل غير طبيعي، ووجهه نحيفًا مثل يتيم جائع. بعد الجراحة، نقلتُ مخاوفنا إلى

الدكتور أوهوليران. قلتُ: "لم يأكل أكثر من القليل من الجيلي أو المرق منذ ما يقرب من أسبوعين. كم من الوقت يمكن لطفل أن يمضي دون طعام؟" وضع الدكتور أوهوليران كولتون في وحدة العناية المركزة وطلب تغذية إضافية له عبر أنبوب تغذية. لكن سرير العناية المركزة كان لنا بقدر ما كان لكولتون، على ما أظن. لم ننم تقريبًا مدة عدم تناول كولتون للطعام، وكنا منهكين تمامًا. كان وضع كولتون في العناية المركزة هو السبيل الوحيد الذي مكّن الطبيب من مساعدتنا على أخذ قسط من الراحة. قال لنا: "سيكون كولتون بخير الليلة. ستكون لديه ممرضته الخاصة طوال الوقت، وإذا حدث أي شيء، فسيكون هناك من يعتني به". يجب أن أعترف، بدت تلك الكلمات كواحة في صحراء الإرهاق. كنا خائفين من ترك كولتون وحده، لكننا كنا نعلم أن الدكتور أوهوليران كان محقًا. كانت تلك الليلة هي الليلة الأولى منذ مغادرة منزل عائلة هاريس في غريلي التي قضيناها أنا وسونيا معًا. تحدثنا. بكينا. شجعنا بعضنا البعض. لكن في الغالب، نمنا كناجين من حطام سفينة في أول ليلة دافئة وجافة لهم. بعد ليلة في وحدة العناية المركزة، نُقل كولتون إلى غرفة أخرى في المستشفى، وبدأت دورة الانتظار والترقب من جديد. متى سيخرج كولتون من هنا؟ متى سنعود إلى المنزل ونكون طبيعيين مرة أخرى؟ الآن، على الرغم من ذلك، بدا أن أمعاء كولتون قد توقفت عن العمل. لم يستطع استخدام الحمام، وساعة بعد ساعة، ازداد بؤسه. "أبي، بطني تؤلمني"، تأوه وهو مستلقٍ على السرير. قال الطبيب إنه حتى لو استطاع كولتون إخراج الغازات، فسيكون ذلك علامة جيدة. حاولنا اصطحابه في نزهة ذهابًا وإيابًا في الممرات لإخراج الأشياء، لكن كولتون لم يستطع إلا أن يمشي ببطء، منحنيًا من الألم. لم يبدو أن أي شيء يساعد. بحلول اليوم الرابع بعد الجراحة الثانية، لم يستطع سوى الاستلقاء على السرير، يتلوى بسبب الإمساك. في ذلك المساء، جاء الدكتور أوهوليران بمزيد من الأخبار السيئة. قال: "أنا آسف". أعلم أنكم مررتم بالكثير، لكنني أعتقد أننا بذلنا كل ما في وسعنا من

أجل كولتون هنا. نفكر أنه ربما يكون من الأفضل نقله إلى مستشفى للأطفال. إما مستشفى أوماها أو مستشفى دنفر. تمكنا معًا من النوم لخمس ليالٍ تقريبًا في خمسة عشر يومًا. بعد أكثر من أسبوعين شاقين بجانب كولتون، كنا على وشك العودة إلى طبيعتنا – مع إغلاق أبواب المصعد حرفيًا، وعائلتنا بالداخل مع البالونات – عندما انهار كل شيء من حولنا مرة أخرى. والآن، عاد ابننا يعاني من ألم مبرح لا نهاية له في الأفق. لم نتمكن حتى من رؤية الأفق. وعندما ظننا أنه لا يمكن أن يزداد الأمر سوءًا، حدث ذلك: كانت عاصفة ثلجية ربيعية غريبة تتحرك إلى الغرب الأوسط. في غضون ساعتين، تراكمت طبقات سميكة من الثلج على أبواب المستشفى وحجرة العجلات في مواقف السيارات. سواء اخترنا مستشفى الأطفال في أوماها، على بُعد ثماني ساعات، أو دنفر، على بُعد ثلاث ساعات، فلن يكون هناك سوى جسر جوي للوصول إلى أي منهما. عندها فقدت سونيا صوابها. قالت: "لا أستطيع فعل هذا بعد الآن!" وانفجرت باكية. وفي تلك اللحظة تحديدًا، قررت مجموعة من الناس في كنيستنا أن الوقت قد حان للصلاة الجادة. بدأ أصدقاء الكنيسة بإجراء مكالمات هاتفية، وسرعان ما توجه حوالي ثمانين شخصًا إلى كنيسة كروسرودز ويسليان لحضور صلاة. كان بعضهم من جماعتنا وبعضهم من كنائس أخرى، لكنهم اجتمعوا جميعًا للصلاة من أجل ابننا. اتصل بي براد ديلان على هاتفي المحمول ليخبرني بما يحدث. سأل: "ما الذي يمكننا أن نصلي من أجله تحديدًا؟" شعرت ببعض الغرابة حيال ذلك، فأخبرته أن ما قاله الدكتور أوهوليران سيكون علامة جيدة لكولتون. لذا فقد تكون تلك الليلة هي المرة الوحيدة في التاريخ المسجل التي اجتمع فيها ثمانين شخصًا وصلوا من أجل شخص ما لإخراج الغازات! بالطبع، دعوا أيضًا أن يتحسن الطقس لنتمكن من الوصول إلى دنفر، ودعا لهم بالشفاء أيضًا. ولكن في غضون ساعة، استُجيبت دعوتهم الأولى! بدأ كولتون يشعر بالتحسن فورًا. في ذلك المساء، تمكن من استخدام الحمام. وفي صباح اليوم التالي،

كان مستيقظًا في غرفته، يلعب وكأن شيئًا من هذا الكابوس لم يحدث. لم نصدق أنا وسونيا أعيننا ونحن نشاهده: باستثناء نحافته، عاد كولتون إلى طبيعته تمامًا. في أقل من اثنتي عشرة ساعة، انتقلنا من حالة يأس تام إلى حالة طبيعية تمامًا. حوالي الساعة التاسعة صباحًا، دخل الدكتور أوهوليران ليطمئن على مريضه.عندما رأى الطبيب كولتون مستيقظًا، مبتسمًا ومبهجًا، ويلعب بدمى الحركة، كان بلا كلام. لفترة طويلة، وقف وحدق فقط. مندهشًا، فحص كولتون ثم حدد موعدًا لجولة أخرى من الاختبارات للتأكد ثلاث مرات من أن أحشاء كولتون في حالة شفاء. هذه المرة، قفز كولتون حرفيًا طوال الطريق إلى مختبر الأشعة المقطعية. مكثنا في المستشفى يومًا ونصفًا آخرين فقط للتأكد من نجاح تحول كولتون. خلال تلك الساعات الست والثلاثين، بدا أن لدينا عددًا أكبر من الممرضات يدخلن ويخرجن أكثر من المعتاد. ببطء، واحدة تلو الأخرى وفي أزواج، كانوا يتسللون إلى الغرفة – وفي كل مرة، كان رد فعلهم هو نفسه: لقد وقفوا فقط وحدقوا في ولدنا الصغير. أحد عشر كولتون بوربو، وكيل التحصيل بعد عودتنا إلى المنزل من المستشفى، نمنا لمدة أسبوع. حسنًا، أنا أبالغ – ولكن ليس كثيرًا. لقد كنا أنا وسونيا منهكين تمامًا. كان الأمر كما لو أننا مررنا للتو بحادث سيارة دام سبعة عشر يومًا تقريبًا. لم تكن جروحنا ظاهرة من الخارج، لكن القلق والتوتر الممزق للروح كان له أثره. في إحدى الأمسيات بعد حوالي أسبوع من عودتنا إلى المنزل، كنت أنا وسونيا نقف في المطبخ نتحدث عن المال. وقفت فوق طاولة محمولة بجوار الميكروويف الخاص بنا، تفرز كومة البريد الضخمة التي تراكمت أثناء إقامة كولتون في المستشفى. في كل مرة كانت تفتح ظرفًا، كانت تدون رقمًا على ورقة ملقاة على المنضدة. حتى من حيث كنت أقف متكئًا على الخزائن على الجانب الآخر من المطبخ، كان بإمكاني أن أرى أن عمود الأرقام أصبح طويلًا للغاية. أخيرًا، أغلقت القلم ووضعته على المنضدة. "هل تعرف كم من المال أحتاج لدفع الفواتير هذا الأسبوع؟" بصفتها محاسبة العائلة والأعمال،

كانت سونيا تسألني هذا السؤال بانتظام. كانت تعمل بدوام جزئي كمعلمة لذلك كان لدينا هذا الدخل الثابت، ولكنه كان مصدرًا صغيرًا نسبيًا. كان راتب قسّي زهيدًا أيضًا، مُجمّعًا من أعشار جماعة صغيرة لكن وفية. لذا، كان معظم الدخل يأتي من عملنا في أبواب الجراج، وكان هذا الدخل يتزايد ويتناقص مع الفصول. كل أسبوعين، كانت تُقدّم لي الأرقام – ليس فقط لفواتير المنزل، بل أيضًا لمدفوعات العمل. الآن، كانت هناك أيضًا عدة فواتير مستشفى ضخمة. أجريتُ حسابًا تقريبيًا في ذهني وعرضتُ عليها تخمينًا. "ربما يقارب ٢٣٠٠٠ دولار، أليس كذلك؟" "أجل،" قالت، وتنهدت. كان الأمر أشبه بمليون دولار. مع عجزي عن العمل في أبواب الجراج بسبب كسر ساقي ثم تضخمها، كنا قد استنفدنا مدخراتنا بالفعل. ثم، عندما كنتُ أستعيد قوتي، ضربني مرض كولتون، وأخرجني من العمل لمدة شهر آخر تقريبًا. كانت فرصتنا في جمع ٢٣٠٠٠ دولار تقريبًا مثل فرصتنا في الفوز باليانصيب. وبما أننا لا نلعب اليانصيب، كانت تلك الاحتمالات معدومة. قالت سونيا: "هل لديكِ أي مستحقات؟ هل لديكِ أي شيء مستحق يمكنكِ تحصيله؟" سألت لأنها مضطرة، لكنها كانت تعرف الإجابة. هززتُ رأسي. قالت وهي تُومئ نحو كومة الأظرف: "يمكنني تأجيل بعض هذه. لكن فواتير العشر مستحقة بالتأكيد." هذه صورة رائعة لمدى صغر مدينة إمبريال: لدى الناس فواتير أو حسابات يديرونها في أماكن مثل محطة الوقود، ومحل البقالة، ومتجر الأدوات. لذلك إذا احتجنا إلى تعبئة وقود أو رغيف خبز، فما علينا سوى المرور والتوقيع. ثم في العاشر من الشهر، تقوم سونيا برحلة مدتها خمس عشرة دقيقة حول المدينة لتسوية الأمر. فواتير العشر لدينا هي إحدى الميزات الرائعة للعيش في بلدة صغيرة. من ناحية أخرى، عندما لا تستطيع الدفع، يكون الأمر أكثر تواضعًا. تنهدت. "يمكنني أن أذهب لشرح الوضع، وأطلب المزيد من الوقت." رفعت سونيا رزمة من الأوراق أكثر سمكًا بقليل من غيرها. "بدأت الفواتير الطبية في الوصول. إحداها ٣٤٠٠٠ دولار." "كم سيغطي

التـأمين؟" "هنـاك مبلـغ خصـم قـدره ٣٢٠٠ دولار." "لا يمكننـا حتـى دفـع هـذا المبلـغ الآن،" قلت. "هل ما زلت تريدني أن أكتب شيك العُشر؟" سألت سونيا، في إشارة إلى تبرعنا الأسبوعي المنتظم للكنيسة. "بالتأكيد،" قلت. لقد أعاد الله لنا ابننا للتو؛ لم يكن هناك طريقة لن نرد بها لله. في تلك اللحظة بالذات، جاء كولتون من حول الزاوية من غرفة المعيشة وفاجأنا بإعلان غريب ما زلت أسمعه حتى يومنا هذا. وقف في نهاية المنضدة ويداه على وركيه. "أبي، استخدم يسوع الدكتور أوهوليران لمساعدتي في علاجي،" قال، واقفًا في نهاية المنضدة ويديه على وركيه. "عليك أن تدفع له." ثم استدار وسار للخارج. حول الزاوية وذهب. تبادلنا أنا وسونيا النظرات. ماذا؟ كنا مذهولين بعض الشيء، فقد رأى كولتون الجراح مصدر كل هذا الوخز والقطع والوخز والاستنزاف والألم. والآن ها نحن ذا، بعد أسبوع واحد فقط من خروجنا من المستشفى، ويبدو أنه قد غيّر رأيه. قالت سونجا: "حسنًا، أعتقد أنه يُحب الدكتور أوهوليران الآن". حتى لو كان كولتون قد وجد في قلبه مسامحة الطبيب الجيد، إلا أن إعلانه الصغير في المطبخ كان غريبًا. كم من الأطفال الذين لم يتجاوزوا الرابعة من عمرهم يُحللون مشاكل الأسرة المالية ويطالبون بسداد دين؟ وخاصةً طفل لم يُعجبه أبدًا؟ والطريقة التي قالها بها أيضًا: "أبي، لقد استخدم يسوع الدكتور أوهوليران لمساعدتي في إصلاح حالتي". غريب. ولكن الأغرب من ذلك هو ما حدث بعد ذلك. مع فواتير بقيمة ٢٣٠٠٠ دولار مستحقة الدفع فورًا، لم نكن نعرف ماذا سنفعل. ناقشتُ أنا وسونيا طلب قرض من مصرفنا، لكن اتضح أننا لسنا بحاجة إليه. أولًا، أرسلت لنا جدتي إيلين، المقيمة في أوليسيس بولاية كانساس، شيكًا للمساعدة في دفع فواتير المستشفى. ثم، في غضون أسبوع واحد، بدأت الشيكات بالوصول عبر البريد. شيكات بقيمة ٥٠ دولارًا، و١٠٠ دولار، و٢٠٠ دولار، وجميعها مصحوبة ببطاقات وملاحظات كُتب عليها عبارات مثل: "سمعنا بمشاكلك وندعو لك"، أو "الله يعينني على إرسال هذا إليك. آمل أن يكون مفيدًا". بحلول نهاية الأسبوع، امتلأ صندوق

بريدنا مرة أخرى – ولكن بالهدايا، وليس بالفواتير. استجاب أعضاء الكنيسة والأصدقاء المقربون، وحتى الأشخاص الذين عرفونا عن بُعد، لحاجتنا دون أن نطلب منهم ذلك. وصل مجموع الشيكات إلى آلاف الدولارات، وقد دهشنا عندما وجدنا أنه، بالإضافة إلى ما أرسلته جدتي، كان المبلغ الإجمالي كافيًا لسداد الدفعة الأولى من الفواتير، تقريبًا نفس المبلغ. لم يمضِ وقت طويل حتى أصبح كولتون وكيل تحصيل صغير، حتى وقع في مشكلة صغيرة. لا شيء كبير، مجرد حادثة في منزل صديق حيث دخل في شد حبل على بعض الألعاب. في ذلك المساء، دعوته إلى طاولة المطبخ. كنت جالسًا على كرسي مستقيم الظهر، وصعد على الكرسي بجانبي وركع عليه. انحنى كولتون على مرفقيه ونظر إليّ بعيون زرقاء سماوية بدت خجولة بعض الشيء. إذا كان لديك طفل في مرحلة ما قبل المدرسة، فأنت تعلم أنه قد يكون من الصعب أحيانًا تجاهل لطفهم وأن تكون جادًا بشأن الانضباط. لكنني تمكنت من وضع نظرة جادة على وجهي. بدأت "كولتون، هل تعرف لماذا أنت في ورطة؟" "نعم. لأنني لم أشارك،" قال وهو يلقي عينيه على الطاولة. "هذا صحيح. لا يمكنك فعل ذلك يا كولتون. عليك أن تعامل الناس بشكل أفضل من ذلك." رفع كولتون عينيه ونظر إليّ. "أجل، أعرف يا أبي. قال لي يسوع إن عليّ أن أكون لطيفًا." فاجأتني كلماته قليلًا. كانت طريقة قوله: قال لي يسوع... لكنني تجاهلته. لا بد أن معلمي مدرسة الأحد يُحسنون صنعًا، فكرت. "حسنًا، كان يسوع مُحقًا، أليس كذلك؟" قلت، وانتهى الأمر. لا أعتقد أنني عاقبت كولتون على عدم مشاركته. ففي النهاية، بوجود يسوع في الصورة، كنتُ أقل شأنًا منه بكثير. بعد أسبوعين، بدأتُ بالتحضير لرئاسة جنازة في الكنيسة. لم يكن الرجل المتوفى من رعيتنا، لكن سكان المدينة الذين لا يحضرون القداس بانتظام غالبًا ما يرغبون في جنازة في الكنيسة لأحد أحبائهم. أحيانًا يكون المتوفى صديقًا أو قريبًا لأحد أعضاء الكنيسة. لا بد أن كولتون سمعني أنا وسونيا نتناقش حول القداس القادم لأنه دخل إلى الغرفة الأمامية

ذات صباح وشدّني من ذيل قميصي. "أبي، ما هي الجنازة؟" لقد حضرتُ جنازاتٍ عديدة في الكنيسة منذ ولادة كولتون، لكنه كان في تلك السن التي بدأ فيها يهتم أكثر بكيفية سير الأمور وأسبابها. "حسنًا يا صديقي، الجنازة تحدث عندما يموت شخص ما. توفي رجل هنا في المدينة، وتأتي عائلته إلى الكنيسة لتوديعه." تغير سلوك كولتون على الفور. ارتسمت على وجهه تجاعيد جادة، وحدق في عينيّ بعنف. "هل كان يسوع في قلب الرجل؟" كان ابني يسألني عما إذا كان الرجل الذي مات مسيحيًا قد قبل المسيح مخلصًا له. لكن حدته فاجأتني. قلتُ: "لست متأكدًا يا كولتون. لم أكن أعرفه جيدًا." تجهم وجه كولتون في نوبة قلق شديدة. "كان لا بد أن يكون يسوع في قلبه! كان لا بد أن يعرف يسوع وإلا فلن يتمكن من دخول الجنة!" مرة أخرى، فاجأتني حدته، خاصة أنه لم يكن يعرف هذا الرجل حتى. حاولتُ مواساته قدر استطاعتي. "لقد تحدثت مع بعض أفراد العائلة، وأخبروني أنه فعل ذلك"، قلت. لم يبدُ كولتون مقتنعًا تمامًا، لكن وجهه استرخى قليلًا. "حسنًا... حسنًا"، قال وانصرف. وللمرة الثانية خلال أسبوعين، فكرت، يا رجل، إن معلمي مدرسة الأحد هؤلاء يقومون بعمل جيد حقًا! في نهاية ذلك الأسبوع، ألبست سونيا كاسي وكولتون أفضل ملابسهم ليوم الأحد، وتوجهنا نصف مبنى إلى الكنيسة للاستعداد للجنازة. عندما وصلنا بسيارة الدفع الرباعي، رأيت سيارة نقل الموتى التابعة لدار جنازات ليوير متوقفة في الخارج. في الداخل، وجدنا نعش البلوط المصقول يقف على جانب واحد من الردهة. مجموعتان من الأبواب المفتوحة تؤديان من الردهة إلى الحرم حيث كانت العائلة تتجمع من أجل "قداس الزهور". قبل الانتقال إلى إمبريال، لم أسمع أبدًا عن قداس الزهور، لكنني أعتقد الآن أنها فكرة رائعة حقًا. تتجمع العائلة قبل مراسم الجنازة، ويشير مدير الجنازة إلى كل نبتة وإكليل وتنسيق زهور، ويشرح من أرسله، ويقرأ بصوت عالٍ أي رسالة تعاطف مرفقة. ("هذه الأزاليات الأرجوانية الجميلة تأتي إليك في ذكرى محبة من عائلة سميث.") من المفترض أن يكون القس في مراسم الزهور.

ألقيت نظرة خاطفة على الحرم ولفتت انتباه مدير الجنازة. أومأ برأسه، مشيرًا إلى أنهم مستعدون للبدء. التفت لأجمع كولتون وكاسي، عندما أشار كولتون إلى النعش. "ما هذا يا أبي؟" حاولت أن أبقي الأمر بسيطًا. "هذا هو النعش. الرجل الذي مات بداخله." فجأة، تجمع وجه كولتون في نفس عقدة القلق الشديد. صفع قبضتيه على فخذيه، ثم أشار بإصبع واحد إلى النعش وقال في صرخة قريبة، "هل كان لدى هذا الرجل يسوع؟!" اتسعت عينا سونيا، ونظرنا كلانا إلى مدخل الحرم، مرعوبين من أن تسمع العائلة بالداخل ابننا. "كان عليه ذلك! كان عليه ذلك!" تابع كولتون. "لا يمكنه دخول الجنة إذا لم يكن يسوع في قلبه!" أمسكت سونيا بكولتون من كتفيه وحاولت إسكاته. لكنه لم يكن من الممكن إسكاته. الآن على وشك البكاء، التفت كولتون بين ذراعيها وصرخت في وجهي، "كان عليه أن يعرف يسوع يا أبي!" وجهته سونيا بعيدًا عن الحرم، ودفعته نحو الأبواب الأمامية للكنيسة، وتبعتها كاسي. من خلال الأبواب الزجاجية، استطعت أن أرى سونيا منحنية تتحدث إلى كاسي وكولتون في الخارج. ثم أخذت كاسي شقيقها الذي لا يزال يكافح من يده وبدأت في السير نصف المبنى نحو المنزل. لم أكن أعرف ماذا أفكر. من أين جاء هذا القلق المفاجئ بشأن ما إذا كان الغريب قد نال الخلاص، وما إذا كان "يسوع في قلبه"، كما قال كولتون؟ كنت أعرف هذا كثيرًا: كان كولتون في تلك السن التي إذا خطرت في باله فكرة ما، كان ينطق بها. مثل المرة التي أخذته فيها إلى مطعم في مدريد، نبراسكا، ودخل رجل ذو شعر طويل ومستقيم للغاية، وسأل كولتون بصوت عالٍ ما إذا كان هذا ولدًا أم فتاة. لذلك أبقينا كولتون بعيدًا عن الجنازات لفترة من الوقت إذا لم نكن متأكدين من أن المتوفى مسيحي. لم نكن نعرف ماذا سيقول أو يفعل. اثنا عشر شاهد عيان على الجنة لم يكن الأمر كذلك إلا بعد أربعة أشهر من جراحة كولتون، خلال رحلتنا في الرابع من يوليو لمقابلة ابن أخينا الجديد، عندما حصلت أنا وسونيا أخيرًا على فكرة أن شيئًا غير عادي قد حدث لابننا. بالتأكيد، كانت هناك سلسلة من الأشياء الغريبة التي

قالها كولتون وفعلها منذ المستشفى. يصر كولتون على أن ندفع للدكتور أوهوليران لأن يسوع استخدم الطبيب لمساعدته في "إصلاحه". تصريحه بأن يسوع "أخبره" أنه يجب أن يكون جيدًا. وأدائه الجنائزي المُرهِق، الذي يُقارب الحماسة. لكن مع مرورها السريع كمشاهد عابرة في خضمّ انشغالات الحياة العائلية، بدت تلك الأشياء... حسنًا، لطيفة نوعًا ما. باستثناء مسألة الجنازة، التي كانت غريبة تمامًا. لكن ليس غريبة خارقة للطبيعة. لم تُضاء الأنوار إلا عندما كنا نقود عبر نورث بلات في طريقنا إلى ساوث داكوتا. ستتذكرون أنني كنت أُمازح كولتون قليلًا أثناء قيادتنا عبر المدينة. قلت: "مهلاً يا كولتون، إذا استدرنا هنا، يُمكننا العودة إلى المستشفى". "هل تُريد العودة إلى المستشفى؟" كانت تلك المحادثة التي قال فيها كولتون إنه "خرج" من جسده، وأنه تحدّث مع الملائكة، وجلس في حضن يسوع. والطريقة التي عرفنا بها أنه لم يكن يُختلق الأمر هي أنه كان قادرًا على إخبارنا بما كنا نفعله في جزء آخر من المستشفى: "كنتَ في غرفة صغيرة وحدك تُصلي، وأمي كانت في غرفة أخرى تُصلي وتُتحدث على الهاتف". حتى سونيا لم ترني في تلك الغرفة الصغيرة، أعاني من أزمة نفسية مع الله. فجأة، هناك في رحلة استكشافية خلال عطلتنا، تبلورت أحداث الأشهر القليلة الماضية كحلقات الوصل السريعة الأخيرة في حل مكعب روبيك: أدركت أنا وسونيا أن هذه لم تكن المرة الأولى التي يُخبرنا فيها كولتون بحدوث أمرٍ مذهل له؛ بل كانت الأوضح. بحلول الوقت الذي وصلنا فيه إلى شلالات سيوكس، كنا مشغولين للغاية بالتعرف على ابن أخينا الصغير اللطيف، وتبادل أخبار العائلة، وزيارة الشلال، لدرجة أننا لم نكن نملك الكثير من الوقت لمناقشة اكتشافات كولتون الغريبة. ولكن خلال اللحظات الهادئة قبل النوم، تدفقت في ذهني سيل من الصور – وخاصة تلك اللحظات المروعة التي قضيتها في تلك الغرفة الصغيرة في المستشفى، غاضبةً على الله. ظننت أنني كنت وحدي، أسكب غضبي وحزني على انفراد. أبقى قوية من أجل سونيا. لكن ابني قال إنه رآني...

مرّت إجازتنا القصيرة دون أي كوارث جديدة، وعدنا إلى إمبريال في الوقت المناسب لألقي عظتي يوم الأحد. في الأسبوع التالي، توجهت سونيا وصديقتها شيري شوينهولز إلى كولورادو سبرينغز لحضور مهرجان بايكس بيك للعبادة، وهو مؤتمر حول خدمة الموسيقى الكنسية. لم يبقَ في المنزل سوى أنا والأطفال. كأي عائلة حكيمة تعيش في منطقة حزام الأعاصير، لدينا قبو أسفل منزلنا المكون من طابق واحد. قبونا نصف مكتمل، بمكتب صغير وحمام يؤدي إلى غرفة ألعاب كبيرة متعددة الأغراض. كنت أنا وكولتون هناك ذات مساء، بينما كنتُ أُلقي عظة على خلفية حرب ألعاب الحركة المريحة التي خاضها طفلي في مرحلة ما قبل المدرسة. كان كولتون يبلغ من العمر ثلاث سنوات وعشرة أشهر وقت خضوعه للعملية الجراحية، ولكن في مايو احتفلنا بعيد ميلاده، لذا أصبح الآن رسميًا في الرابعة من عمره. ولد كبير. كانت الحفلة الصغيرة التي أقمناها أكثر خصوصية لأننا كدنا أن نفقده. لا أتذكر بالضبط أي يوم من أيام الأسبوع كان عندما كنتُ أنا وكولتون نقضي وقتًا ممتعًا في القبو. لكنني أتذكر أنه كان مساءً وأن كاسي لم تكن هناك، لذا لا بد أنها كانت تقضي الليلة مع صديقة. وبينما كان كولتون يلعب بالقرب، لفت انتباهي حديث أربي عن يسوع والملائكة. أردتُ أن أتعمق أكثر، وأن أجعله يتحدث مجددًا. في ذلك العمر، لا يأتي الأولاد الصغار ليقدموا لنا قصصًا طويلة ومفصلة. لكنهم سيجيبون على الأسئلة المباشرة، وعادةً ما تكون إجاباتهم مباشرة. لو كان لكولتون لقاء خارق للطبيعة حقًا، لما أردتُ بالتأكيد أن أسأله أسئلةً مُوجِّهة. لقد علّمنا كولتون إيماننا طوال حياته.لكن لو كان قد رأى يسوع والملائكة حقًا، لتمنيت أن أصبح الطالب، لا المعلم! جلست على مكتبي المؤقت، ونظرت إلى ابني وهو يحضر سبايدر مان وينقض على مخلوق بشع المظهر من حرب النجوم. قلت: "مرحبًا، كولتون،" "أتتذكر عندما كنا في السيارة وتحدثت عن الجلوس في حضن يسوع؟" لا يزال على ركبتيه، نظر إلي. "نعم." "حسنًا، هل حدث أي شيء آخر؟" أومأ برأسه

وعيناه تلمعان. "هل تعلم أن ليسوع ابن عم؟ أخبرني يسوع أن ابن عمه عمده." قلت: "نعم، أنت محق،" "يقول الكتاب المقدس أن اسم ابن عم يسوع هو يوحنا." عقليًا، وبخت نفسي: لا تقدم معلومات. فقط دعه يتحدث ... قال كولتون بسعادة: "لا أتذكر اسمه، لكنه كان لطيفًا حقًا." يوحنا المعمدان "لطيف"؟! بينما كنتُ أستوعب دلالات قول ابني – أنه التقى بيوحنا المعمدان – رأى كولتون حصانًا بلاستيكيًا بين ألعابه ورفعه لي لألقي نظرة عليه. "أبي، هل تعلم أن ليسوع حصان؟" "حصان؟" "نعم، حصان قوس قزح. داعبته. ألوانه كثيرة." ألوان كثيرة؟ عن ماذا كان يتحدث؟ "أين توجد هذه الألوان يا كولتون؟" "في الجنة يا أبي. هناك كل ألوان قوس قزح." هذا جعلني أشعر بالدوار. فجأة أدركتُ أنني حتى تلك اللحظة كنتُ أفكر في أن كولتون ربما تلقى زيارة إلهية. ربما ظهر له يسوع والملائكة في المستشفى. سمعتُ عن ظواهر مماثلة مرات عديدة عندما كان الناس على وشك الموت مثل كولتون. الآن أدركتُ أن ابني لم يكن يقول إنه غادر جسده فحسب؛ بل كان يقول إنه غادر المستشفى! "كنتَ في الجنة؟" تمكنتُ من السؤال. "حسنًا، أجل يا أبي"، قال، وكأن الأمر كان بديهيًا تمامًا. كان عليّ أن آخذ استراحة. وقفتُ وصعدتُ الدرج قفزًا، ثم رفعتُ الهاتف، واتصلتُ بهاتف سونيا. ردّت، وسمعتُ موسيقى وغناءً في الخلفية. "هل تعلمين ماذا قال لي ابنكِ للتو؟!" "ماذا؟" صرخت فوق الضجيج. "أخبرني أنه التقى بيوحنا المعمدان!" "ماذا؟" لخّصتُ لها الباقي، وسمعتُ الدهشة في صوتها على الطرف الآخر من الخط. حاولت أن تُلحّ عليّ للحصول على تفاصيل، لكن صوت قاعة العبادة كان مرتفعًا جدًا. في النهاية، اضطررنا للاستسلام. "اتصلي بي الليلة بعد العشاء، حسنًا؟" قالت سونيا. "أريد أن أعرف كل شيء!" أغلقتُ الهاتف واتكأتُ على طاولة المطبخ، أُفكّر. ببطء، بدأتُ أُفكّر في احتمالية أن يكون هذا حقيقيًا. هل مات ابننا وعاد؟ لم يُبدِ الطاقم الطبي أي إشارة إلى ذلك. لكن من الواضح أن شيئًا ما قد حدث لكولتون. لقد أثبت ذلك بإخبارنا بأشياء لم يكن من الممكن أن يعرفها.

أدركت أنه ربما حصلنا على هدية وأن مهمتنا الآن هي فتحها ببطء وحذر ومعرفة ما بداخلها. في الطابق السفلي، كان كولتون لا يزال على ركبتيه، يقصف الكائنات الفضائية. جلست بجانبه. "مرحبًا، كولتون، هل يمكنني أن أسألك شيئًا آخر عن يسوع؟" أومأ برأسه لكنه لم يرفع نظره عن هجومه المدمر على كومة صغيرة من رجال إكس. "كيف كان شكل يسوع؟" قلت. فجأة، وضع كولتون ألعابه ونظر إلي. "يسوع لديه علامات." "ماذا؟" "علامات، أبي... يسوع لديه علامات. ولديه شعر بني ولديه شعر على وجهه"، قال وهو يدير كفه الصغيرة على ذقنه. خمنت أنه لم يكن يعرف كلمة لحية بعد. "وعينيه... أوه، أبي، عيناه جميلتان جدًا!" وبينما قال هذا، أصبح وجه كولتون حالمًا وبعيدًا، كما لو كان يستمتع بذكريات حلوة بشكل خاص. "ماذا عن ملابسه؟" عاد كولتون إلى الغرفة فجأة وابتسم لي. "كان يرتدي اللون الأرجواني." وبينما قال هذا، وضع كولتون يده على كتفه الأيسر، وحركها عبر جسده إلى أسفل إلى وركه الأيمن ثم كرر الحركة. "كانت ملابسه بيضاء، لكنها كانت أرجوانية من هنا إلى هنا." كلمة أخرى لم يكن يعرفها: وشاح. "كان يسوع هو الوحيد في السماء الذي يرتدي اللون الأرجواني يا أبي. هل تعلم ذلك؟" في الكتاب المقدس، اللون الأرجواني هو لون الملوك. ومرت آية من إنجيل مرقس في ذهني: "أصبحت ملابسه بيضاء ناصعة، أكثر بياضا من أي شخص في العالم يمكن أن يبيضها."١ "وكان على رأسه هذا الشيء الذهبي..." غرّد كولتون بحماس. وضع كلتا يديه فوق رأسه على شكل دائرة. "مثل التاج؟" نعم، تاج، وفي وسطه هذا... هذا الشيء الماسي، وكان لونه ورديًا نوعًا ما. ولديه علامات يا أبي. دارت بي الأفكار. ظننتُ أنني أقود طفلي بهدوء في هذا المسار الحواري، لكنه بدلًا من ذلك، أمسك باللجام وانطلق مبتعدًا. تدفقت صور من الكتاب المقدس في ذهني. ظهور المسيح في سفر دانيال، وظهور ملك الملوك في سفر الرؤيا. أدهشني أن ابني كان يصف يسوع بعبارات بشرية تقريبًا – ثم أدهشني أنني كنت مندهشًا، لأن إيماننا كله يدور حول

فكرة أن الإنسان مخلوق على صورة الله، وأن يسوع جاء إلى الأرض وعاد إلى السماء كإنسان. كنت أحفظ عن ظهر قلب جميع قصص الكتاب المقدس التي قرأناها له على مر السنين، وكثير منها من سلسلة "آرتش"، وهي كتب قصص الكتاب المقدس التي كنت أمتلكها في طفولتي. وكنت أعرف دروس مدرسة الأحد في كنيستنا ومدى تبسيطها في سنوات ما قبل المدرسة: يسوع يحبك. كن لطيفًا مع الآخرين. الله كريم. لو استطعتَ إقناع طفل في مرحلة ما قبل المدرسة بحفظ مفهوم واحد فقط من ثلاث أو أربع كلمات صباح يوم الأحد، لكان ذلك إنجازًا هائلًا. والآن، ها هو طفلي، بصوته الطفولي، يُخبرني بأشياء لم تكن مُذهلة على وجهه فحسب، بل تطابقت أيضًا مع الكتاب المقدس في كل تفصيلة، وصولًا إلى ألوان قوس قزح الموصوفة في سفر الرؤيا،٢ وهو أمرٌ لا يُناسب الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة. وبينما كان يُثرثر، كان كولتون يسألني، أنا والده القس، بين الحين والآخر: "هل تعلم ذلك؟" وكنتُ أفكر: "نعم، ولكن كيف تعلم ذلك؟" جلستُ في صمت لبضع لحظات بينما استأنف كولتون حملته الجوية. وكما سيصبح نمطًا للسنتين التاليتين، جلستُ هناك وحاولتُ معرفة ما أسأله بعد ذلك. فكرتُ فيما قاله حتى الآن... يوحنا المعمدان، ويسوع وملابسه، وأقواس قزح، والخيول. لقد فهمتُ كل ذلك. ولكن ماذا عن العلامات؟ ماذا قصد كولتون عندما قال إن ليسوع علامات؟ ما هي العلامات لطفل صغير؟ فجأة، فهمت. "كولتون، قلت إن ليسوع علامات. هل تقصد مثل العلامات التي تلون بها؟" أومأ كولتون. "نعم، مثل الألوان. كان عليه ألوان." "مثل عندما تلون صفحة؟" "نعم." "حسنًا، ما لون علامات يسوع؟" "أحمر يا أبي. يسوع عليه علامات حمراء." في تلك اللحظة، كاد حلقي أن يغلق بالدموع عندما فهمت فجأة ما كان كولتون يحاول قوله. بهدوء، وبحذر، قلت، "كولتون، أين علامات يسوع؟" دون تردد، وقف على قدميه. مدّ يده اليمنى، وراحتها لأعلى وأشار إلى مركزها بيده اليسرى. ثم مدّ راحة يده اليسرى وأشار بيده اليمنى. أخيرًا، انحنى

كولتون وأشار إلى أعلى قدميه. قال: "هناك حيث توجد علامات يسوع يا أبي". أخذت نفسًا عميقًا. لقد رأى هذا. كان لا بد أن يكون لديه. نحن نعلم أين دُقّت المسامير عندما صُلب يسوع، لكنك لا تقضي الكثير من الوقت في مراجعة تلك الحقائق المروعة مع الأطفال الصغار ومرحلة ما قبل المدرسة. في الواقع، لم أكن أعرف ما إذا كان ابني قد رأى صليبًا من قبل. ينشأ الأطفال الكاثوليك على هذه الصورة، لكن الأطفال البروتستانت، وخاصة الصغار منهم، ينشأون بمفهوم عام: "مات يسوع على الصليب". لقد أذهلني أيضًا مدى سرعة إجابة كولتون على أسئلتي. لقد تحدث ببساطة اقتناع شاهد عيان، وليس بحذر شخص يتذكر الإجابات "الصحيحة" التي تعلمها في مدرسة الأحد أو من كتاب. قلت: "كولتون، سأصعد لأحضر بعض الماء"، في الحقيقة كنت أريد فقط إنهاء المحادثة. سواء انتهى أم لا، فقد انتهيت. كان لدي ما يكفي من المعلومات لأستوعبها. قال كولتون: "حسنًا يا أبي"، وانحنى لألعابه. في الطابق العلوي، في المطبخ، اتكأت على المنضدة وارتشفت من زجاجة ماء. كيف لصغيري أن يعرف هذه الأمور؟ كنت أعلم أنه لم يكن يخترعها. كنت متأكدًا تمامًا أنني وسونيا لم نتحدث قط مع كولتون عن ملابس يسوع، ناهيك عما قد يرتديه في الجنة. هل كان ليكتسب مثل هذه التفاصيل من قصص الكتاب المقدس التي كنا نقرأها للأطفال؟ لقد اكتسب كولتون معرفة أكبر بإيماننا من ذلك أكثر من شهر الأحد. ولكن مرة أخرى، كانت القصص في كتب الكتاب المقدس التي كنا نقرأها له ذات طابع سرديّ، وكل قصة منها لا تتجاوز بضع مئات من الكلمات. لم تكن غنية بالتفاصيل، مثل أن يسوع كان يرتدي الأبيض (مع أن الكتاب المقدس يقول إنه كان يرتديه). ولا تفاصيل عن شكل الجنة. أخذت رشفة أخرى من الماء وفكرت مليًا في أمر ابن العم و"العلامات". لم يفهم هذه الأمور منا. ولكن حتى في التفاصيل التي لم أفهمها في البداية، مثل "العلامات"، كان كولتون مُصرًا. وكان هناك أمر آخر يتعلق بالعلامات أزعجني. عندما سألت كولتون

عن شكل يسوع، كانت هذه أول تفصيلة برزت في ذهنه. ليس الوشاح الأرجواني، ولا التاج، ولا حتى عيني يسوع، التي كان كولتون مفتونًا بها بوضوح. لقد قال، على الفور، "يسوع لديه علامات". سمعت ذات مرة "لغزًا" روحيًا كان كالتالي: "ما هو الشيء الوحيد في السماء الذي يشبه ما كان عليه على الأرض؟" الإجابة: الجروح في يدي وقدمي يسوع. ربما كان ذلك صحيحًا. ثلاثة عشر ضوءًا وأجنحة وصلت سونيا من كولورادو سبرينغز مساء السبت، وبينما كنا نتجمع في غرفة المعيشة على أكواب من بيبسي، أطلعتها على بقية ما قاله كولتون. تساءلت بصوت عالٍ: "ما الذي فاتنا؟" قالت: "لا أعرف". "يبدو الأمر كما لو أنه ظهر فجأة بمعلومات جديدة". "أريد أن أعرف المزيد، لكنني لا أعرف ماذا أسأله". كنا كلانا معلمين، سونيا بالمعنى الرسمي وأنا بالمعنى الرعوي. اتفقنا على أن أفضل طريقة للمضي قدمًا هي الاستمرار في طرح أسئلة مفتوحة كلما برز الموقف، وعدم ملء أي فراغات لكولتون كما فعلت، سهوًا، عندما اقترحت كلمة "تاج" عندما كان كولتون يصف "القطعة الذهبية" على رأس يسوع. في السنوات التالية، التزمنا بهذا النهج بعناية شديدة لدرجة أن كولتون لم يعرف كلمة "حزام" حتى بلغ العاشرة من عمره. بعد يومين من حديثنا عن العلامات، كنت جالسًا على طاولة المطبخ أستعد لخطبة، وكان كولتون يلعب بالقرب. رفعت نظري عن كتبي ونظرت إلى ابني، الذي كان مسلحًا بسيوف بلاستيكية ويربط أطراف منشفة حول رقبته. كل بطل خارق يحتاج إلى عباءة. كنت أعرف أنني أريد أن أسأله عن الجنة مرة أخرى، وكنت أقلب الأسئلة المحتملة في ذهني. لم يسبق لي أن خضت محادثة كهذه مع كولتون من قبل، لذلك كنت متوترًا بعض الشيء بشأن كيفية البدء. في الواقع، لم يسبق لي أن خضت محادثة كهذه مع أي شخص من قبل. حاولتُ اللحاق به قبل أن يخوض المعركة، فلفتُ انتباه كولتون وأشرتُ له أن يجلس معي. ركض نحوي وصعد إلى الكرسي في نهاية طاولة المطبخ. "نعم؟" "أتتذكر عندما كنتَ تخبرني كيف يبدو يسوع؟ وماذا عن الحصان؟"

أومأ برأسه وعيناه مفتوحتان على مصراعيهما وبجدية. "كنتَ في الجنة؟" أومأ برأسه مرة أخرى. أدركتُ أنني بدأتُ أتقبل ذلك، نعم، ربما كان كولتون قد ذهب إلى الجنة حقًا. شعرتُ وكأن عائلتنا قد تلقت هدية، وبعد أن قشرتُ الطبقة العليا من المناديل الورقية، عرفتُ شكلها العام. الآن أردتُ أن أعرف ما كان بداخل الصندوق. "حسنًا، ماذا فعلتَ في الجنة؟" تجرأتُ. "واجب منزلي". واجب منزلي؟ لم يكن هذا ما كنتُ أتوقعه. ربما تدريب جوقة، ولكن واجب منزلي؟ "ماذا تقصد؟" ابتسم كولتون. "كان يسوع معلمي". "مثل المدرسة؟" أومأ كولتون برأسه. لقد كلّفني يسوع بعملٍ لأقوم به، وكان ذلك الجزء المفضل لدي في الجنة. كان هناك الكثير من الأطفال يا أبي." كانت هذه الجملة بمثابة بداية فترة تمنيتُ لو أننا دوّنناها. خلال هذه المحادثة، وعلى مدار عامٍ أو نحو ذلك، استطاع كولتون ذكر العديد من الأطفال الذين قال إنهم في الجنة معه. مع ذلك، فهو لا يتذكر أسماءهم الآن، ولا أنا ولا سونيا. كانت هذه أيضًا المرة الأولى التي يذكر فيها كولتون أشخاصًا آخرين في الجنة. أعني، بخلاف شخصيات الكتاب المقدس مثل يوحنا المعمدان، ولكن عليّ أن أعترف أنني اعتبرته... حسنًا، "شخصية" أكثر من كونه شخصًا عاديًا مثلك ومثلي. يبدو هذا الأمر سخيفًا نوعًا ما، فالمسيحيون يتحدثون طوال الوقت عن الذهاب إلى الجنة بعد الموت. لماذا لم أتوقع أن يرى كولتون أشخاصًا عاديين؟ لكن كل ما خطر ببالي هو: "كيف كان شكل الأطفال؟ كيف يبدو الناس في الجنة؟" قال كولتون: "لكل شخص أجنحة". أجنحة، أليس كذلك؟ "هل كان لديك أجنحة؟" سألت. "أجل، لكن عظامي لم تكن كبيرة جدًا." بدا عليه بعض الكآبة عندما قال هذا. "حسنًا... هل مشيت في أماكن أم طرت؟" "لقد طرنا. حسنًا، جميعنا باستثناء يسوع. كان الوحيد في السماء الذي لم يكن له أجنحة. كان يسوع يصعد وينزل مثل المصعد." لمعت في ذهني صورة سفر أعمال الرسل، مشهد صعود يسوع، عندما أخبر يسوع التلاميذ أنهم سيكونون شهوده، وأنهم سيخبرون الناس في جميع أنحاء العالم عنه. بعد أن

قال هذا، يقول الكتاب المقدس، "رُفع يسوع أمام أعينهم، وأخفته سحابة عن أعينهم. وبينما كانوا ينظرون إلى السماء وهو ذاهب، إذا برجلين بلباس أبيض يقفان بجانبهم. قالا: "أيها الرجال الجليليون، لماذا تقفون هنا تنظرون إلى السماء؟ إن هذا يسوع نفسه الذي رُفع عنكم إلى السماء، سيعود كما رأيتموه ذاهبًا إلى السماء."١ صعد يسوع. وسينزل. بدون أجنحة. بالنسبة لطفل، قد يبدو ذلك كمصعد. اقتحم كولتون أفكاري. "يبدو الجميع كملائكة في السماء يا أبي." "ماذا تقصد؟" "كل الناس لديهم نور فوق رؤوسهم." أرهقت ذهني لما أعرفه عن الملائكة والنور. في الكتاب المقدس، عندما تظهر الملائكة، تكون أحيانًا ساطعة بشكل مبهر، مبهرة تقريبًا. عندما ظهرت مريم المجدلية والنساء الأخريات خارج قبر يسوع في اليوم الثالث بعد دفنه، تقول الأناجيل أن ملاكًا قابلهن جالسًا على حجر القبر الذي دُحرج بطريقة ما: "كان منظره كالبرق، وكانت ثيابه بيضاء كالثلج."٢ تذكرت أن سفر أعمال الرسل يتحدث عن التلميذ استفانوس. بينما كان يُتهم بالهرطقة أمام محكمة يهودية، رأوا أن "وجهه أصبح مضيئًا كوجه ملاك."٣ بعد فترة وجيزة، رُجم استفانوس حتى الموت. كتب الرسول يوحنا في سفر الرؤيا أنه رأى "ملاكًا قويًا نازلا من السماء، محاطًا بسحابة، وعلى رأسه قوس قزح"، وأن وجه الملاك "أضاء كالشمس".٤ لم أستطع أن أتذكر وجود أنوار على رؤوس الملائكة على وجه التحديد – أو هالات، كما يسميها البعض – ولكنني كنت أعرف أيضًا أن تجربة كولتون مع الملائكة في كتب القصص والكتاب المقدس لم تتضمن أضواء فوق رؤوس الملائكة. ولم يكن يعرف حتى كلمة هالة. لا أعرف أنه رأى واحدة من قبل، لأن قصص الكتاب المقدس قبل النوم ودروس مدرسة الأحد في الكنيسة تتوافق بشكل وثيق مع الكتاب المقدس. ومع ذلك، فإن ما قاله أثار اهتمامي لسبب آخر: أخبرتني إحدى صديقاتنا، زوجة قس في كنيسة في كولورادو، ذات مرة عن شيء قالته ابنتها، هانا، عندما كانت في الثالثة من عمرها. بعد انتهاء قداس الصباح في أحد أيام الأحد، شدّت هانا تنورة أمها

وسألت: "أمي، لماذا يضع بعض الناس في الكنيسة مصابيح على رؤوسهم والبعض الآخر لا؟" أتذكر أنني فكرت في أمرين آنذاك: أولًا، كنت سأركع وأسأل هانا: "هل كان لديّ مصباح فوق رأسي؟ أرجوكِ قولي نعم!". تساءلت أيضًا عما رأته هانا، وهل رأته لأنها، مثل ابني، لديها إيمان طفوليّ.عندما سأل التلاميذ يسوع من هو الأعظم في ملكوت السماوات، دعا يسوع صبيًا صغيرًا من بين الحشد وجعله يقف بينهم كمثال. قال يسوع: "الحق أقول لكم، إن لم تتغيروا وتصبحوا مثل الأطفال الصغار، فلن تدخلوا ملكوت السماوات. لذلك، من يضع نفسه مثل هذا الطفل فهو الأعظم في ملكوت السماوات".٥ من يضع نفسه مثل هذا الطفل ... ما هو التواضع الطفولي؟ إنه ليس نقصًا في الذكاء، بل نقصًا في المكر. نقصًا في الأجندة. إنه ذلك الوقت الثمين العابر قبل أن نجمع ما يكفي من الكبرياء أو المكانة للاهتمام بما قد يعتقده الآخرون. نفس الصدق الخالي من الوعي الذاتي الذي يمكّن طفلًا في الثالثة من عمره من أن يرش بفرح في بركة المطر، أو يتعثر ضاحكًا على العشب مع جرو، أو يشير بصوت عالٍ إلى أن لديك مخاطًا معلقًا من أنفك، هو ما هو مطلوب لدخول الجنة. إنه نقيض الجهل، إنه صدق فكري: أن تكون مستعدًا لقبول الواقع وتسمية الأشياء بمسمياتها حتى لو كان ذلك صعبًا. خطرت لي كل هذه الأفكار في لحظة، لكنني بقيتُ مترددًا. "ضوء، هاه؟" كان كل ما قلته. "أجل، ولديهم لون أصفر من هنا إلى هنا"، قال، وهو يحرك وشاحه مرة أخرى، من كتفه الأيسر إلى وركه الأيمن. "وأبيض من هنا إلى هنا". وضع يديه على كتفيه، ثم انحنى للأمام ولمس أعلى قدميه. فكرتُ في "الرجل" الذي ظهر للنبي دانيال: "في اليوم الرابع والعشرين من الشهر الأول، بينما كنتُ واقفًا على ضفة النهر الكبير، نهر دجلة، رفعتُ بصري فإذا برجلٍ يرتدي كتانًا، وحول خصره حزامٌ من ذهبٍ فاخر. كان جسده كالزبرجد، ووجهه كالبرق، وعيناه كمصابيحٍ متوهجة، وذراعاه وساقاه كبريق البرونز المصقول."٦ ثم أعاد كولتون حركة الحزام وقال إن الناس في السماء يرتدون ألوانًا مختلفة عن ألوان

الملائكة. كاد مقياس معلوماتي الجديد أن يُثبت نفسه، لكن كان هناك أمرٌ آخر عليّ معرفته. إذا كان كولتون قد ذهب إلى السماء حقًا ورأى كل هذه الأشياء – يسوع، والخيول، والملائكة، والأطفال الآخرين – وظل هناك (هل كان كذلك؟) مدةً كافيةً لأداء واجباته المدرسية، فكم من الوقت "غادر" جسده، كما ادعى؟ نظرتُ إليه، راكعًا على كرسي المطبخ، وعباءته الملفوفة حول عنقه لا تزال مربوطة. "كولتون، قلت أنك كنت في الجنة وفعلت كل هذه الأشياء ... الكثير من الأشياء. كم من الوقت كنت غائبًا؟" نظر إليّ ابني الصغير مباشرة في عيني ولم يتردد. "ثلاث دقائق"، قال. ثم قفز من الكرسي وذهب للعب. أربعة عشر في وقت الجنة ثلاث دقائق؟ بينما بدأ كولتون في الاستعداد لمعركة سيوف بلاستيكية ملحمية مع شرير غير مرئي، تعجبت من إجابته. لقد صدق بالفعل على تجربته بإخباري بأشياء لم يكن ليعرفها بطريقة أخرى. ولكن الآن كان عليّ أن أوفق إجابته، "ثلاث دقائق"، مع كل الباقي. حدقت في كتابي المقدس، مفتوحًا على طاولة المطبخ، وقلبت الاحتمالات في ذهني. ثلاث دقائق. لم يكن من الممكن أن يكون كولتون قد رأى وفعل كل ما وصفه حتى الآن في ثلاث دقائق فقط. بالطبع، لم يكن كبيرًا بما يكفي لإخبار الوقت بعد، لذلك ربما لم يكن إحساسه بثلاث دقائق فعلية هو نفسه إحساس شخص بالغ. مثل معظم الآباء، كنت متأكدًا تمامًا من أنني وسونيا لم نساعد في حل هذه المشكلة، فوعدنا بإنهاء المكالمة الهاتفية، على سبيل المثال، أو انتهينا من التحدث في الفناء مع أحد الجيران، أو انتهينا من العمل في المرآب في "خمس دقائق أخرى"، ثم أنهيناه بعد عشرين دقيقة. كان من الممكن أيضًا أن الوقت في السماء لا يتوافق مع الوقت على الأرض. يقول الكتاب المقدس أنه عند الرب، "يوم واحد كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد".١ يفسر البعض ذلك على أنه تبادل حرفي، كما في، يومان يساويان ألفي عام. لطالما اعتبرت ذلك يعني أن الله يعمل خارج فهمنا للوقت. الوقت على الأرض مرتبط بساعة سماوية، يحكمها النظام الشمسي. لكن الكتاب المقدس يقول إنه لا

توجد شمس في السماء لأن الله هو النور هناك. ربما لا يوجد وقت في السماء. على الأقل ليس كما نفهمه. من ناحية أخرى، كانت إجابة كولتون "ثلاث دقائق" مباشرة وواقعية كما لو كان قد أخبرني أنه تناول حلوى لاكي تشارمز على الإفطار. بالنسبة لساعتنا، ربما كان على حق. بالنسبة له لمغادرة جسده والعودة إليه، لم يكن من الممكن أن يغيب طويلاً. خاصة وأننا لم نتلق أي نوع من التقارير التي تقول إن كولتون قد مات سريريًا على الإطلاق. في الواقع، كان تقرير ما بعد الجراحة واضحًا أنه على الرغم من أن تشخيص ابننا كان قاتمًا، إلا أن الجراحة سارت على ما يرام: تقرير العملية الجراحية تاريخ العملية الجراحية: ٢٠٠٣/٥/٣ التشخيص قبل الجراحة: التهاب الزائدة الدودية الحاد التشخيص بعد الجراحة: التهاب الزائدة الدودية المثقوب والخراج العملية: استئصال الزائدة الدودية وتصريف الخراج الجراح: تيموثي أوهوليران، دكتور في الطب وصف العملية: تم وضع المريض في وضعية الاستلقاء على طاولة العمليات. تحت التخدير العام، تم تجهيز البطن وتغطيتها بطريقة معقمة. تم إجراء شق عرضي في الربع السفلي الأيمن وتم نقله إلى أسفل عبر جميع طبقات التجويف البريتوني... كان لدى المريضة زائدة مثقوبة مع خراج. تم إخراج الزائدة الدودية في مجال الجراحة. ضربتني فكرة مثل الطوب: كولتون لم يمت. كيف كان من الممكن أن يذهب إلى الجنة إذا لم يمت؟ مرت يومين وأنا أمضغ ذلك. لقد مر أسبوع أو نحو ذلك فقط منذ أن أخبرنا كولتون لأول مرة عن الملائكة، لذلك لم أرغب في الاستمرار في الضغط على مسألة الجنة. ولكن في النهاية، لم أستطع تحمل الأمر بعد الآن وبحثت في المنزل عن كولتون حتى وجدته، راكعًا على ركبتيه في غرفة النوم التي حولناها إلى غرفة ألعاب، يبني برجًا من الليغو. انحنيت على إطار الباب ولفت انتباهه. "مرحبًا، كولتون، لا أفهم،" بدأت. نظر إليّ، ولاحظتُ لأول مرة أن وجهه قد عاد إليه استدارة، وخدوده ممتلئة ووردية بعد أن أنهكها مرضه وجعلها نحيفة وشاحبة. "ماذا؟" "قلتَ إنك ذهبت إلى الجنة. يجب أن يموت الناس

ليذهبوا إلى الجنة." لم ترتجف عينا كولتون. "حسنًا، إذن، لقد متُّ. لكن لفترة وجيزة فقط." خفق قلبي بشدة. إذا لم تسمع طفلك في مرحلة ما قبل المدرسة يخبرك أنه مات، فأنا لا أنصحك بذلك. لكن كولتون لم يمت. كنت أعرف ما يقوله السجل الطبي. لم يتوقف كولتون عن التنفس قط. لم يتوقف قلبه قط. وقفتُ عند المدخل وتأملتُ هذه المعلومة الجديدة بينما أعاد كولتون انتباهه إلى ألعابه. ثم تذكرتُ أن الكتاب المقدس يتحدث في عدة مواضع.

عن الناس الذين رأوا السماء دون أن يموتوا. كتب الرسول بولس إلى كنيسة كورنثوس عن مسيحي كان يعرفه شخصيًا والذي أُخذ إلى السماء، "أكان في الجسد أم خارج الجسد، لا أعلم – الله يعلم. وأنا أعلم أن هذا الرجل ... اختُطف إلى الفردوس. وسمع أشياء لا يُنطق بها، أشياء لا يجوز لإنسان أن يُخبر بها."٢ ثم، بالطبع، كان هناك الرسول يوحنا، الذي وصف السماء بتفصيل كبير في سفر الرؤيا. كان يوحنا قد نُفي إلى جزيرة بطمس، حيث زاره ملاك وأمره بكتابة سلسلة من النبوءات لكنائس مختلفة. كتب يوحنا: بعد هذا نظرت، وإذا أمامي باب مفتوح في السماء. والصوت الذي سمعته أولاً يُكلّمني كبوق قائلاً: "اصعد إلى هنا، وسأريك ما لا بد أن يكون بعد هذا." وللوقت كنت في الروح، وإذا أمامي عرش في السماء وشخص جالس عليه. وكان الشخص الذي جلس هناك بمظهر اليشب والعقيق. قوس قزح، يشبه الزمرد، يحيط بالعرش.٣ أقواس قزح... الآن أين سمعت ذلك مؤخرًا؟ بينما كنت أقف هناك وأفكر في أساس كتابي لتجربة الجنة دون موت، أدركت أن كولتون، عندما أخبرني أنه مات "لفترة قصيرة"، كان يحاول فقط مطابقة ادعاء قسيسه مع ما يعرفه أنه حقائق تجربته الخاصة. نوعًا ما مثل المشي في الخارج واكتشاف أن الشارع مبلل، واستنتج، حسنًا، حسنًا، لا بد أنه أمطرت. انظر، كان لدي هذا الصندوق الصغير المرتب الذي كتب عليه، "يجب أن يموت الناس

للذهاب إلى الجنة"، وكولتون، واثقًا بي، استنتج، "حسنًا، لا بد أنني مت حينها، لأنني كنت هناك". فجأة، قال مرة أخرى. "أبي، أتذكر عندما صرخت من أجلك في المستشفى عندما استيقظت؟" كيف لي أن أنسى؟ كان أجمل صوت سمعته في حياتي. "بالتأكيد،" قلت. "حسنًا، سبب صراخي هو أن يسوع جاء ليأخذني. قال إن عليّ العودة لأنه كان يستجيب لدعائك. لهذا السبب كنت أصرخ من أجلك." فجأة، شعرت بضعف في ركبتي تحتي. تذكرت صلاتي وحدي، غاضبًا من الله، وصلواتي في غرفة الانتظار، هادئة ويائسة. تذكرت كم كنت خائفًا، متألمًا بشأن ما إذا كان كولتون سيصمد خلال العملية الجراحية، وما إذا كان سيعيش طويلًا بما يكفي لأرى وجهه الثمين مرة أخرى. كانت تلك أطول وأحلك تسعين دقيقة في حياتي. وهل استجاب يسوع لدعائي؟ شخصيًا؟ بعد أن صرخت في وجه الله، ووبخته، وشككت في حكمته وإخلاصه؟ لماذا يستجيب الله لدعاء كهذا؟ وكيف استحق رحمته؟ خمسة عشر اعترافًا احترقت الأسابيع الأولى من شهر يوليو في السهول، وغذت حقول الذرة بكل حرارة دفيئة عملاقة. كانت سماء ويدجوود الزرقاء تقوس فوق إمبريال كل يوم تقريبًا، وكان الهواء يطن بالبعوض في ضوء الشمس ويغني مع الصراصير في ضوء النجوم. في منتصف شهر يوليو تقريبًا، توجهت بالسيارة إلى غريلي، كولورادو، لحضور مؤتمر منطقة الكنيسة. كان التجمع الذي يضم حوالي ١٥٠ قسًا وزوجات القساوسة ومندوبين من نبراسكا وكولورادو يجتمعون في الكنيسة التي يرعاها ستيف ويلسون – وهي نفس الكنيسة التي زرتها في شهر مارس بينما بقيت سونيا في منزل هاريس، ترضع كولتون عندما ظننا جميعًا أنه مصاب بأنفلونزا المعدة. يمارس الروم الكاثوليك الاعتراف كسر مقدس، ويشاركون خطاياهم وعيوبهم مع كاهن. يمارس البروتستانت الاعتراف أيضًا، وإن كان بشكل أقل رسمية، وغالبًا ما يثقون بالله دون وسيط. لكن كشف كولتون الأخير عن أن صلواتي الغاضبة قد صعدت مباشرة إلى السماء – وتلقت استجابة مباشرة بنفس القدر – جعلني أشعر وكأنني بحاجة إلى

اعتراف إضافي. لم أشعر بالراحة لأنني كنت غاضبًا جدًا من الله. عندما كنت منزعجًا للغاية، مشتعلًا بغضب صالح لأنه على وشك أخذ طفلي، خمنوا من كان يحمل طفلي؟ خمنوا من كان يحب طفلي، دون أن يراه أحد؟ بصفتي قسًا، شعرت بالمسؤولية أمام القساوسة الآخرين عن قلة إيماني. لذلك في غريلي ويسليان خلال المؤتمر، سألت فيل هاريس، مشرف منطقتنا، عما إذا كان بإمكاني الحصول على بضع دقائق لمشاركتها. وافق، وعندما حان الوقت، وقفت أمام أقراني في الحرم الذي كان يضم حوالي ألف شخص في صباح يوم الأحد. بعد تقديم تحديث موجز عن صحة كولتون، شكرت هؤلاء الرجال والنساء على صلواتهم نيابة عن عائلتنا. ثم بدأت اعترافي. يعلم معظمكم أنه قبل كل ما حدث لكولتون، كنت قد كسرت ساقي وخضعت لعملية حصوة في الكلى، ثم استئصال الثدي. مررت بعام عصيب لدرجة أن البعض بدأ ينادونني "القس جوب". صدح صدى الضحك الرقيق في المكان. "لكن لم يكن أي من تلك الأمور مؤلمًا بقدر ما كان يؤلمني رؤية ما يمر به كولتون، وقد غضبت من الله بشدة"، تابعت. "أنا رجل. الرجال يفعلون شيئًا ما. وكل ما شعرت أنني أستطيع فعله هو الصراخ في وجه الله". وصفت بإيجاز موقفي في تلك الغرفة الصغيرة في المستشفى، حيث كنت أهاجم الله بشدة، وألومه على حالة كولتون، وأتذمر من طريقة تعامله مع أحد قساوسته، كما لو أنني كنت سأنجو من المشاكل لأنني كنت أقوم بعمله. "في ذلك الوقت، عندما كنت منزعجًا وغاضبًا للغاية، هل تصدق أن الله اختار استجابة تلك الصلاة؟" قلت. "هل تصدق أنني أستطيع أن أصلي صلاة كهذه، ويجيبها الله بـ "نعم"؟" ماذا تعلمت؟ لقد تذكرت مرة أخرى أنني أستطيع أن أكون صادقًا مع الله، أخبرت زملائي القساوسة. تعلمت أنه ليس عليّ تقديم نوع من الصلاة الكنسية ذات النبرة المقدسة حتى يُسمع صوتي في السماء. قلت: "يمكنك أيضًا إخبار الله بما تفكر فيه، فهو يعلم ذلك بالفعل على أي حال". والأهم من ذلك كله، تعلمت أنني مسموع. نحن جميعًا كذلك. لقد كنت

مسيحيًا منذ الطفولة وقسًا لنصف حياتي، لذلك كنت أؤمن بذلك من قبل. لكنني الآن عرفت ذلك. كيف؟ بينما كانت الممرضات يدفعن ابني بعيدًا ويصرخن، "أبي، أبي، لا تدعهم يأخذونني!" ... عندما كنت غاضبًا من الله لأنني لم أستطع الذهاب إلى ابني وحمله وتهدئته، كان ابن الله يحمل ابني في حجره. ستة عشر بوب في يوم مشمس من شهر أغسطس، قفز كولتون البالغ من العمر أربع سنوات إلى مقعد الراكب في شاحنتي الحمراء، وانطلقنا نحن الاثنان إلى بنكلمان. اضطررتُ للقيادة إلى هناك لتقديم عرض، فقررتُ اصطحاب كولتون معي. لم يكن مهتمًا بتركيب أبواب جراجات صناعية. لكنه أحب ركوب سيارتي الصغيرة من طراز شيفروليه ديزل، لأنه على عكس سيارة إكسبيديشن حيث كانت رؤيته محدودة من المقعد الخلفي، كان مقعد سيارته مرتفعًا في شيفروليه، وكان بإمكانه رؤية كل شيء. بنكلمان بلدة زراعية صغيرة تقع على بُعد ثمانية وثلاثين ميلًا جنوب إمبريال. تأسست عام ١٨٨٧، وهي تتآكل قليلًا عند أطرافها مثل العديد من المجتمعات في ريف نبراسكا، حيث يتناقص عدد سكانها مع استهلاك التكنولوجيا للوظائف الزراعية وانتقال الناس إلى المدن الكبرى بحثًا عن عمل. مررتُ بنباتات الأسمدة والبطاطس المألوفة التي تنمو في الطرف الشرقي من إمبريال، ثم انعطفتُ جنوبًا نحو بحيرة إندرز. مررنا بملعب الجولف البلدي المرصع بأشجار الأرز على يسارنا، ثم، بينما كنا نمر فوق سد خرساني، تتلألأ البحيرة أسفلنا على يميننا. نظر كولتون إلى أسفل إلى زورق سريع يسحب متزلجًا في أعقابه الرغوية. عبرنا السد، وانخفضنا في الوادي، ثم انطلقنا بالسيارة إلى امتداد الطريق السريع ذي المسارين الذي يشير مباشرة إلى الجنوب. الآن انتشرت أفدنة من الأراضي الزراعية حولنا، وسيقان الذرة التي يبلغ ارتفاعها ستة أقدام خضراء زاهية في السماء، والأسفلت يشقها مثل الشفرة. فجأة تحدث كولتون. "أبي، كان لديك جد اسمه بوب، أليس كذلك؟" "نعم، بالتأكيد،" قلت. "هل كان والد أمك أم والد والدك؟" "كان بوب والد أمي. لقد توفي عندما لم أكن

أكبر منك سنًا بكثير." ابتسم كولتون. "إنه لطيف حقًا." كدت أقود السيارة خارج الطريق إلى الذرة. إنها لحظة مجنونة عندما يستخدم ابنك المضارع للإشارة إلى شخص مات قبل ربع قرن من ولادته. لكنني حاولت أن أبقى هادئًا. "إذن هل رأيت بوب؟" قلت. "نعم، لقد بقيت معه في الجنة. لقد كنت قريبًا منه حقًا، أليس كذلك يا أبي؟" "بلى، كنت كذلك"، هذا كل ما استطعت قوله. دار رأسي. كان كولتون قد طرح موضوعًا جديدًا تمامًا: الأشخاص الذين فقدتهم، ولقائهم في الجنة. الغريب، مع كل هذا الحديث عن يسوع والملائكة والخيول، لم يخطر ببالي قط أن أسأله إن كان قد التقى بأي شخص أعرفه. ولكن، لماذا أفعل؟ لم نفقد أي عائلة أو أصدقاء منذ ولادة كولتون، فمن كان سيلتقي به إذن؟ الآن هذا. ربما قدت سيارتي عشرة أميال أخرى نحو بنكلمان، والأفكار تتدفق في ذهني. سرعان ما ازدحمت حقول الذرة ببقايا برونزية أنيقة، وحقول قمح بعد الحصاد. لم أُرد أن أكرر نفس الخطأ الذي ارتكبته عندما غرست في رأسه أفكارًا – أن الناس يجب أن يموتوا، على سبيل المثال، قبل دخول الجنة. لم أُرد أن يُطعمني طعامًا ليُرضيني. أردت أن أعرف الحقيقة. على اليسار، على بُعد ربع ميل من الطريق، بدا برج كنيسة أبيض ينتصب من بين حقول الذرة. كنيسة القديس بولس اللوثرية، التي بُنيت عام ١٩١٨. تساءلتُ عمّا سيُفكّر فيه أهل هذه المدينة العريقة بشأن ما كان ابننا الصغير يُخبرنا به. وأخيرًا، بينما كنا نعبر إلى مقاطعة دندي، كنتُ مُستعدًا لطرح بعض الأسئلة المفتوحة. قلتُ: "مرحبًا، كولتون". استدار من النافذة حيث كان يُراقب طائر الدراج وهو يذرعنا جيئةً وذهابًا بين صفوف الذرة. "ماذا؟" "كولتون، كيف كان شكل أبي؟" ابتسم ابتسامة عريضة. "أوه، أبي، أبي لديه أجنحة كبيرة حقًا!" مرة أخرى بصيغة المضارع. كان الأمر غريبًا. تابع كولتون حديثه. "كانت أجنحتي صغيرة حقًا، لكن أجنحة أبي كانت كبيرة!" "كيف كانت ملابسه؟" قال وهو يُحرك وشاحه مرة أخرى: "كان يرتدي ملابس بيضاء، لكن هنا أزرق". دفعتُ الشاحنة جانبًا لتجنب سُلّم أسقطه أحدهم في الطريق

ثم عدتُ إلى منتصف الطريق. "وهل ستبقى مع أبي؟" أومأ كولتون برأسه، وبدا أن عينيه تلمعان. قلتُ: "عندما كنتُ صغيرًا، كنتُ أستمتع كثيرًا مع جدي". لم أخبر كولتون لماذا قضيتُ كل هذا الوقت مع جدي وجدتي إيلين في مزرعتهما في يوليسيس، كانساس. الحقيقة المحزنة هي أن والدي، الكيميائي الذي عمل في شركة كير–ماكجي للبترول، كان يعاني من اضطراب ثنائي القطب. في بعض الأحيان، عندما تسوء نوباته بما يكفي، كانت والدتي، كاي، وهي معلمة في المدرسة الابتدائية، تضطر إلى إدخال والدي إلى المستشفى. أرسلتني إلى منزل جدي لحمايتي من ذلك. لم أكن أعلم أنني "أُرسل بعيدًا" – كنتُ أعلم فقط أنني أحب التجول في المزرعة، ومطاردة الدجاج، وصيد الأرانب. قلتُ لكولتون: "قضيتُ الكثير من الوقت مع جدي في منزلهم في الريف". "كنتُ أركب معه الحصادة والجرار. كان لديه كلب، وكنا نخرج معه لصيد الأرانب". أومأ كولتون مرة أخرى: "أجل، أعرف! أخبرني أبي." حسنًا، لم أكن أعرف ماذا أقول لذلك، لذلك قلت، "كان اسم الكلب تشارلي براون، وكان لديه عين زرقاء وأخرى بنية." "رائع!" قال كولتون. "هل يمكننا الحصول على كلب مثله؟" ضحكت. "سنرى." كان جدي، لورانس باربر، مزارعًا وواحدًا من هؤلاء الأشخاص الذين يعرفون الجميع والذين يعتبرهم الجميع صديقًا. كان يبدأ معظم أيامه قبل الفجر، يضربها من منزله الريفي في يوليسيس، كانساس، إلى متجر الدونات المحلي لتبادل القصص. كان رجلاً ضخمًا؛ لعب كظهير في الأيام التي سبقت التمريرة. اعتادت زوجته، جدتي إيلين (نفس الجدة التي أرسلت المال للمساعدة في فواتير مستشفى كولتون)، أن تقول إن الأمر سيستغرق أربعة أو خمسة لاعبين لإسقاط لورانس باربر. كان أبي رجلاً يذهب إلى الكنيسة من حين لآخر فقط. كان نوعًا ما كتومًا بشأن الأمور الروحية، كما يميل الكثير من الرجال إلى ذلك. كنت في السادسة من عمري تقريبًا عندما توفي بعد أن انحرف عن الطريق في وقت متأخر من إحدى الليالي. اصطدمت سيارة كراون فيكتوريا الخاصة

ببوب بعمود كهرباء، مما أدى إلى تشققه إلى نصفين. انقلب النصف العلوي من العمود واصطدم بسقف كراون فيكتوريا، لكن زخم السيارة حمل بوب نصف ميل آخر إلى حقل. تسبب الحادث في انقطاع التيار الكهربائي في ساحة تغذية بعيدة قليلاً في الاتجاه الذي جاء منه بوب، مما دفع عاملًا هناك إلى التحقيق. يبدو أن بوب كان على قيد الحياة ويتنفس بعد الحادث مباشرة، حيث وجده عمال الإنقاذ ممددًا على مقعد الراكب، يمد يده إلى مقبض الباب محاولًا الهرب من السيارة. ولكن عندما وصل بسيارة الإسعاف إلى المستشفى، أعلن الأطباء وفاته. كان عمره واحدًا وستين عامًا فقط. أتذكر رؤية والدتي وهي في حالة من الألم في الجنازة، لكن حزنها لم ينته عند هذا الحد. كلما كبرت، كنت أراها أحيانًا في الصلاة، والدموع تنزلق برفق على خديها. عندما سألتها عما به، كانت تشاركني قائلة: "أنا قلقة بشأن ذهاب أبي إلى الجنة". لم نكتشف ذلك إلا بعد ذلك بكثير، في عام ٢٠٠٦، من عمتي كوني، عن خدمة خاصة حضرها أبي قبل يومين فقط من وفاته – خدمة قد تحمل إجابات على مصير جدي الأبدي. كان التاريخ ١٣ يوليو ١٩٧٥، والمكان هو جونسون، كانساس. كان لأمي وخالتي كوني عم اسمه هيوبرت كالدويل. كنت أحب العم هيوبرت. لم يكن هيوبرت واعظًا ريفيًا بسيطًا فحسب، بل كان يحب الحديث وكان من النوع الذي يسهل التحدث إليه. (لقد استمتعت أيضًا بهوبرت لأنه كان قصيرًا، أقصر مني. نادرًا ما يحدث لي النظر إلى الأسفل لزيارة أي شخص لدرجة أن الفرصة تبدو وكأنها امتياز). دعا العم هيوبرت أبي وكوني والعديد من الآخرين إلى خدمات الإحياء التي كان يقودها في كنيسته الريفية الصغيرة. من خلف منبره في كنيسة الله الرسولية، اختتم هوبرت رسالته بسؤال إن كان أحد يرغب في التضحية بحياته للمسيح. رأى العم هوبرت جدي يرفع يده. لكن بطريقة ما، لم تصل تلك القصة إلى أمي، وظلت قلقة بشأنها بين الحين والآخر على مدار الثمانية والعشرين عامًا التالية. بعد عودتنا إلى المنزل من بنكلمان، اتصلت بأمي وأخبرتها بما قاله

كولتون. كان ذلك يوم جمعة. في صباح اليوم التالي، دخلت إلى ممرنا، بعد أن قطعت الرحلة بأكملها من يوليسيس لسماع ما قاله حفيدها عن والدها. لقد أدهشنا مدى سرعة وصولها. قالت سونيا: "يا إلهي، لقد وصلت إلى هنا!". حول طاولة العشاء في ذلك المساء، استمعت أنا وسونيا بينما كان كولتون يروي لجدته عن حصان قوس قزح ليسوع وقضاء الوقت مع جدي. الشيء الذي فاجأ أمي أكثر هو الطريقة التي روى بها كولتون القصة: لقد تعرف جدي على حفيده على الرغم من أن كولتون قد ولد بعد عقود من وفاة جدي. هذا جعل أمي تتساءل عما إذا كان من سبقونا يعرفون ما يحدث على الأرض. أم أننا في السماء سنعرف أحباءنا – حتى أولئك الذين لم نتمكن من مقابلتهم في الحياة – بطريقة ما في الحياة التالية لمعرفة أننا لا نستمتع بها على الأرض؟ ثم سألت أمي كولتون سؤالاً غريبًا. "هل قال يسوع شيئًا عن أن يصبح والدك قسًا؟" وبينما كنت أتساءل في سرّي عن سبب ظهور شيء مثل مهنتي، فاجأني كولتون عندما أومأ برأسه بحماس. "أوه، نعم! قال يسوع إنه ذهب إلى أبي وأخبره أنه يريد أن يصبح أبي قسًا، وقال أبي نعم، وكان يسوع سعيدًا جدًا." كدت أسقط من على كرسيي. كان هذا صحيحًا، وأتذكر بوضوح الليلة التي حدث فيها ذلك. كنت في الثالثة عشرة من عمري وأحضر معسكرًا صيفيًا للشباب في جامعة جون براون في سيلوام سبرينغز، أركنساس. في أحد الاجتماعات المسائية، ألقى القس أورفيل بوتشر رسالةً حول كيف يدعو الله الناس إلى الخدمة ويستخدمهم للقيام بعمله في جميع أنحاء العالم. كان القس بوتشر واعظًا قصير القامة، أصلع الرأس، مفعمًا بالحيوية والنشاط، نشيطًا وجذابًا، وليس مملًا وجافًا كما يتوقع الأطفال أحيانًا من القس الأكبر سنًا. تحدى مجموعة من ١٥٠ مراهقًا تلك الليلة قائلًا: "هناك بعض منكم هنا الليلة يمكن أن يستخدمهم الله كقساوسة ومبشرين". ذكرى تلك اللحظة من حياتي هي واحدة من تلك الذكريات الواضحة، المقطرة والمتميزة، كلحظة تخرجك من المدرسة الثانوية أو ولادة طفلك الأول. أتذكر أن حشد الأطفال قد

تلاشى واختفى صوت القس في الخلفية. شعرت بضغط في قلبي، يكاد يكون همسًا: هذا أنت يا تود.هذا ما أريدك أن تفعله. لم يكن هناك شك في ذهني أنني قد سمعت للتو من الله. كنت مصممًا على الطاعة. عدت إلى القس بوتشر في الوقت المناسب تمامًا لسماعه يقول أنه إذا سمع أي منا من الله في تلك الليلة، إذا كان أي منا قد التزم بخدمته في الوزارة، فيجب أن نخبر شخصًا ما عن ذلك عندما نعود إلى المنزل حتى يعرف شخص آخر على الأقل. لذلك عندما عدت إلى المنزل من المخيم، دخلت المطبخ. قلت: "أمي، عندما أكبر، سأكون قسًا". منذ ذلك اليوم قبل عقود، راجعت أنا وأمي تلك المحادثة عدة مرات. لكننا لم نخبر كولتون عنها أبدًا. سبعة عشر اثنين من الأخوات مع حلول الخريف الناري في الأيام الخضراء من الصيف، تحدثنا مع كولتون عن الجنة بين الحين والآخر. ولكن ظهرت محادثة جارية واحدة: عندما رأى كولتون يسوع في الجنة، كيف كان يبدو؟ كان سبب تكرار هذا الموضوع تحديدًا هو أنني، كقسيس، كنت أقضي وقتًا طويلًا في المستشفيات، وفي المكتبات المسيحية، وفي كنائس أخرى – جميعها أماكن تعجّ برسومات ولوحات المسيح. غالبًا ما كانت سونيا والأطفال معي، فأصبح الأمر أشبه بلعبة. عندما كنا نصادف صورة ليسوع، كنا نسأل كولتون: "ماذا عن هذه؟ هل هذا ما يبدو عليه يسوع؟" كان كولتون يُحدّق في الصورة للحظة ويهز رأسه الصغير. كان يقول: "لا، الشعر ليس على ما يرام". أو "الملابس ليست على ما يرام". كان هذا يتكرر عشرات المرات على مدى السنوات الثلاث التالية. سواءً كان ملصقًا في غرفة مدرسة الأحد، أو رسمًا للمسيح على غلاف كتاب، أو إعادة طباعة للوحة فنية قديمة معلقة على جدار دار مسنين، كان رد فعل كولتون دائمًا هو نفسه: كان صغيرًا جدًا على أن يُعبّر بدقة عن الخطأ في كل صورة؛ كان يعلم فقط أنها ليست على ما يرام. في إحدى أمسيات شهر أكتوبر، كنت جالسة على طاولة المطبخ، أعمل على خطبة دينية. كانت سونيا في الزاوية في غرفة المعيشة، تعمل على دفاتر الأعمال، وتجهيز بطاقات

العمل، وفرز المستحقات. كانت كاسي تلعب بدمى باربي عند قدميها. سمعت خطوات كولتون تتجول في الردهة ورأيته وهو يدور حول الأريكة، حيث جلس مباشرة أمام سونيا. قال كولتون: "أمي، لدي أختان". وضعت قلمي. لم تفعل سونيا. واصلت العمل. كرر كولتون نفسه. "أمي، لدي أختان". رفعت سونيا نظرها عن أوراقها وهزت رأسها قليلاً. "لا، لديك أختك، كاسي، و... هل تقصدين ابنة عمك، تريسي؟" "لا." قطع كولتون الكلمة بإصرار. "لدي أختان. لقد مات طفل في بطنك، أليس كذلك؟" في تلك اللحظة، توقف الزمن في منزل بوربو، واتسعت عينا سونيا. قبل ثوانٍ قليلة فقط، كان كولتون يحاول دون جدوى جعل والدته تستمع إليه. الآن، حتى من طاولة المطبخ، استطعت أن أرى أنه يحظى باهتمامها الكامل. قالت سونيا بنبرة جادة: "من أخبرك أن طفلًا مات في بطني؟". "لقد فعلت يا أمي. قالت إنها ماتت في بطنك." ثم استدار كولتون وبدأ في الابتعاد. لقد قال ما كان عليه قوله وكان مستعدًا للمضي قدمًا. ولكن بعد القنبلة التي أسقطها للتو، كانت سونيا قد بدأت للتو. قبل أن يتمكن ابننا من الالتفاف حول الأريكة، دوى صوت سونيا في حالة تأهب قصوى. "كولتون تود بوربو، عد إلى هنا الآن!" استدار كولتون ولفت انتباهي. قال وجهه، ماذا فعلت للتو؟ كنت أعرف ما تشعر به زوجتي. كان فقدان ذلك الطفل هو الحدث الأكثر إيلامًا في حياتها. لقد شرحنا الأمر لكاسي؛ كانت أكبر سنًا. لكننا لم نخبر كولتون، فقد حكمنا على الموضوع بأنه يتجاوز قليلاً قدرة طفل في الرابعة من عمره على الفهم. من على الطاولة، راقبت بهدوء المشاعر وهي تتدفق على وجه سونيا. بتوتر طفيف، انزلق كولتون حول الأريكة وواجه والدته مرة أخرى، هذه المرة بحذر أكبر. قال: "لا بأس يا أمي. إنها بخير. تبناها الله." انزلقت سونيا من الأريكة وجثت على ركبتيها أمام كولتون حتى تتمكن من النظر في عينيه. قالت: "ألا تقصد أن يسوع تبناها؟" "لا يا أمي. والده تبناها!" التفتت سونيا ونظرت إلي. في تلك اللحظة، أخبرتني لاحقًا، كانت تحاول الحفاظ على هدوئها، لكنها كانت غارقة في أفكارها.

طفلنـا... كـان – لا يـزال! – فتـاة، فكـرت. ركـزت سـونيا علـى كولتـون، واسـتطعت سماع الجهد الذي بذلته لتثبيت صوتها. "إذن كيف كانت تبدو؟" قال كولتون: "لقد بـدت مثـل كاسـي كثيرًا. إنهـا أصـغر قلـيلاً فقـط، ولـديها شـعر داكـن". شـعر سـونيا الداكن. بينما كنت أشاهد، ارتسم مزيج من الألم والفرح على وجه زوجتي. كاسي وكولتون لديهما شعري الأشقر. حتى أنها اشتكت لي مازحة من قبل، "لقد حملت هؤلاء الأطفال لمدة تسعة أشهر، وكلاهما ولدا في شكل مثلك!" الآن هناك طفل يشـبهها. ابنـة. رأيـت أول لمحـة مـن الرطوبـة تـتلألأ فـي عينـي زوجتـي. الآن تـابع كولتون دون حث. "يا إلهي، ركضت هذه الفتاة الصغيرة نحوي، ولم تتوقف عن معانقتي"، قال بنبرة تشير بوضوح إلى أنه لا يستمتع بكل هذا العناق من فتاة. "ربما كانـت سـعيدة فقط بوجود أحد أفراد عائلتها هنـاك"، قالـت سـونيا. "الفتيـات يحتضـن بعضـهن الـبعض. عنـدما نكـون سـعداء، نحتضـن بعضـنا الـبعض". لـم يبـدُ كولتـون مقتنعًا. أضـاءت عينـا سـونيا وسـألت، "مـا اسـمها؟ مـا اسـم الفتـاة الصـغيرة؟" بـدا أن كولتون قد نسي كل عناق الفتيات المقرف للحظة. "ليس لديها اسم. أنتم يا رفاق لم تسميها." كيف عرف ذلك؟ قالت سونيا: "أنت محق يا كولتون. لم نكن نعرف حتى أنها أنثى." ثم قال كولتون شيئًا لا يزال يرن في أذني: "نعم، قالت إنها لا تستطيع الانتظار حتى تصل أنت وأبي إلى الجنة." من طاولة المطبخ، استطعت أن أرى أن سونيا بالكـاد كانـت تتمالـك نفسـها. أعطـت كولتـون قبلـة وأخبرتـه أنـه يمكنـه الـذهاب للعـب. وعنـدما غـادر الغرفـة، انهمـرت الـدموع علـى خـديها. همسـت: "طفلنـا بخيـر. طفلنا بخير." منذ تلك اللحظة فصاعدًا، بدأ جرح إحدى أكثر الحلقات إيلامًا في حياتنـا، فقدان طفل أردنـاه بشدة، فـي الشفاء. بالنسبة لـي، كـان فقدان الطفل ضـربة موجعة. لكن سونيا أخبرتـي أن الإجهاض لم يُحرق قلبها حزنًا فحسب، بل شعرَتْ أيضًا بفشلٍ شخصي. قالت لي ذات مرة: "تفعلين كل ما هو صحيح، وتأكلين كل ما هو صحيح، وتصلين من أجل صحة الطفل، ومع ذلك يموت هذا الطفل الصغير

بداخلكِ". "أشعر بالذنب. أعلم في قرارة نفسي أنه لم يكن خطأي، لكن لا يزال هذا الشعور بالذنب يراودني". كنا نرغب في تصديق أن طفلنا الذي لم يولد بعد قد ذهب إلى الجنة. ورغم أن الكتاب المقدس صامت إلى حد كبير بشأن هذه النقطة، إلا أننا قبلناها إيمانًا. لكن الآن، أصبح لدينا شاهد عيان: ابنة لم نلتقِ بها من قبل تنتظرنا بفارغ الصبر في الأبدية. ومنذ ذلك الحين، بدأت أنا وسونيا نمزح حول من سيصل إلى الجنة أولًا. كانت هناك عدة أسباب لرغبتها الدائمة في أن تعيش أطول مني. أولًا، تضطر زوجة القسيس إلى تحمل استخدامها كمثالٍ في الوعظ كثيرًا. إذا متُّ أولاً، كانت تقول لي دائمًا، فستتمكن أخيرًا من إخبار الجماعة بكل قصصها عني. ولكن الآن لدى سونيا سبب للرغبة في الوصول إلى الجنة أولاً. عندما كانت حاملاً بالطفل الذي فقدناه، اخترنا اسمًا للصبي –كولتون– لكننا لم نتمكن أبدًا من الاتفاق على اسم لفتاة صغيرة. لقد أحببت كيلسي، وأعجبت بكيتلين، ولم يتزحزح أي منا. ولكن الآن بعد أن علمنا أن ابنتنا الصغيرة ليس لها اسم بعد، فإننا نقول لبعضنا البعض باستمرار، "سأفوز عليك في الجنة وأسميها أولاً!" ثمانية عشر غرفة عرش الله في إحدى الليالي بالقرب من عيد الميلاد عام ٢٠٠٣، تبعت كولتون إلى غرفته وقت النوم. ووفقًا لروتيننا المعتاد، اختار قصة من الكتاب المقدس لأقرأها له، وفي تلك الليلة كانت قصة الملك الحكيم والطفل. كانت القصة مبنية على قصة في سفر الملوك الأول حيث تعيش امرأتان معًا، ولكل منهما ابن رضيع. وفي أثناء الليل، يموت أحد الطفلين. تغلب الحزن على والدة الطفل الميت، وحاولت المطالبة بالطفل الآخر كابن لها. حاولت الأم الحقيقية للطفل الحي إقناع الأم الحزينة بالحقيقة لكنها لم تستطع إقناعها بالتخلي عن الطفل الناجي. يائسة لاستعادة طفلها، اقترحت والدة الطفل الحي أن الملك سليمان، المعروف على نطاق واسع بحكمته، يمكنه تسوية الأمر وتحديد من هي الأم الحقيقية للطفل الحي. في القصة التوراتية، ابتكر الملك سليمان طريقة لمعرفة ما في قلب كل امرأة. "اقطع الطفل إلى نصفين!" أصدر الملك

مرسومًا. "أعط نصفًا لواحدة والنصف الآخر للأخرى". وافقت الأم الحزينة على الحل، لكن الأم الحقيقية كشفت عن حبها، وصرخت، "لا! دعها تحصل على الطفل!" وهكذا اكتشف الملك الحكيم أي الأمهات كانت تقول الحقيقة، ومن هنا جاءت العبارة الشائعة، "حل سليمان". وصلتُ إلى نهاية القصة، وخضتُ أنا وكولتون جدالنا المعتاد، وهو نقاشٌ وديّ، حول قراءتها مرارًا وتكرارًا. هذه المرة، فزتُ. وبينما كنا راكعين على الأرض للصلاة، وضعتُ الكتاب جانبًا على السجادة، فانفتح على رسمٍ يُصوّر الملك سليمان جالسًا على عرشه. أدركتُ أن الكتاب المقدس يتحدث عن عرش الله في عدة مواضع. على سبيل المثال، يحثّ كاتب رسالة العبرانيين المؤمنين على "التقدم إلى عرش النعمة بثقة"،١ ويقول إنه بعد أن أكمل يسوع عمله على الأرض، "جلس عن يمين عرش الله".٢ وهناك ذلك الفصل المجيد في سفر الرؤيا الذي يصف عرش الله: رأيتُ المدينة المقدسة، أورشليم الجديدة، نازلةً من السماء من عند الله، مُهيأةً كعروسٍ مُزيّنةٍ بزينةٍ لزوجها. وسمعت صوتًا عظيمًا من العرش يقول: "الآن مسكن الله مع الناس، وسيعيش معهم. سيكونون شعبه، وسيكون الله نفسه معهم إلهًا لهم. وسيمسح كل دمعة من عيونهم. ولن يكون هناك موت ولا حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد، لأن النظام القديم للأشياء قد زال". وقال الجالس على العرش: "ها أنا أصنع كل شيء جديدًا!" ... لم أرَ هيكلًا في المدينة، لأن الرب الإله القدير والحمل هما هيكلها. لا تحتاج المدينة إلى الشمس أو القمر ليضيئا عليها، لأن مجد الله ينيرها، والحمل هو سراجها.٣ قلت وأنا أركع بجانبه: "مهلاً يا كولتون، هل رأيت عرش الله يومًا عندما كنت في السماء؟" نظر إليّ كولتون متسائلًا. "ما هو العرش يا أبي؟" التقطت كتاب قصص الكتاب المقدس وأشرت إلى صورة سليمان جالسًا في بلاطه. "العرش ككرسي الملك. إنه الكرسي الذي لا يجلس عليه إلا الملك." "أوه، أجل! رأيت ذلك عدة مرات!" قال كولتون. تسارعت نبضات قلبي قليلاً. هل سألقي نظرة خاطفة على قاعة عرش السماء حقًا؟ "حسنًا، كيف كان

شكل عرش الله؟" "كان كبيرًا يا أبي... كبيرًا جدًا، لأن الله هو الأكبر على الإطلاق. وهو يحبنا حقًا يا أبي. لا يمكنك تصديق مدى حبه لنا!" عندما قال هذا، لفت انتباهي تناقض: كولتون، الصغير، كان يتحدث عن كائن بهذا الحجم – ولكن في اللحظة التالية، كان يتحدث عن الحب. من ناحية، لم يكن حجم الله مخيفًا لكولتون، ولكن ما أثار اهتمامي أيضًا أنه على الرغم من حرص كولتون على إخباري عن شكل الله، كان حريصًا بنفس القدر على إخباري بما يشعر به الله تجاهنا. "وهل تعلم أن يسوع يجلس بجوار الله؟" تابع كولتون بحماس. "كرسي يسوع بجوار كرسي أبيه!" أذهلني ذلك. من المستحيل أن يعرف طفل في الرابعة من عمره ذلك. كانت لحظة أخرى من تلك اللحظات التي فكرت فيها، لا بد أنه رأى هذا. كنت متأكدًا تمامًا أنه لم يسمع قط بسفر العبرانيين، ولكن كانت هناك طريقة واحدة لمعرفة ذلك. "كولتون، على أي جانب من عرش الله كان يسوع جالسًا؟" سألت. صعد كولتون على السرير وجثا على ركبتيه في مواجهتي. "حسنًا، تظاهر بأنك على عرش الله. يسوع جلس هناك تمامًا،" قال، مشيرًا إلى يميني. لمعت في ذهني فقرة من سفر العبرانيين: "لنُحدق في يسوع، رئيس إيماننا ومُكمله، الذي من أجل الفرح الموضوع أمامه احتمل الصليب، مستهينًا بالعار، وجلس عن يمين عرش الله."٤ يا إلهي. كانت هذه حالة نادرة حيث اختبرت ذكريات كولتون بما يقوله الكتاب المقدس، ونجح في الاختبار دون أن يرف له جفن. لكن الآن كان لدي سؤال آخر، سؤال لم أكن أعرف إجابته، على الأقل ليس من الكتاب المقدس. "حسنًا، من يجلس على الجانب الآخر من عرش الله؟" قلت. "أوه، هذا سهل يا أبي. هناك حيث يوجد الملاك جبرائيل. إنه لطيف حقًا." جبرائيل. هذا منطقي. تذكرت قصة يوحنا المعمدان واللحظة التي وصل فيها جبرائيل لينقل خبر ولادة يوحنا المعمدان القادمة. لكن الملاك قال له: "لا تخف يا زكريا؛ لقد سمعت صلاتك. ستلد لك زوجتك أليصابات ابنًا، وعليك أن تسميه يوحنا. سيكون فرحًا وسرورًا لك، وسيفرح كثيرون بسبب ولادته لأنه سيكون عظيمًا

في نظر الرب..." سأل زكريا الملاك، "كيف يمكنني التأكد من هذا؟ أنا رجل شيخ وزوجتي متقدمة في السن." أجاب الملاك، "أنا جبرائيل. أنا واقف في حضرة الله، وقد أُرسلت لأكلمك وأخبرك بهذه البشارة."٥ "أنا واقف في حضرة الله،" قال جبرائيل لزكريا. والآن، بعد أكثر من ألفي عام، كان ابني الصغير يخبرني بنفس الشيء. لذا فقد ألقيت نظرة خاطفة على قاعة عرش الله، لكن أوصاف كولتون جعلتني أتساءل: إذا كان الله الآب جالسًا على عرشه ويسوع على يمينه وجبرائيل على يساره، فأين كان كولتون؟ كان كولتون قد زحف بالفعل تحت بطانيته، ورأسه الأشقر مستريحًا على غطاء وسادة سبايدر مان. "أين جلست يا كولتون؟" سألت. "لقد أحضروا لي كرسيًا صغيرًا،" قال مبتسمًا. "جلست بجانب الله الروح القدس. هل تعلم أن الله ثلاثة أقانيم يا أبي؟" "نعم، أعتقد أنني أعرف ذلك،" قلت وابتسمت. كنت جالسًا بجانب الله الروح القدس لأنني كنت أصلي من أجلك. كنت بحاجة إلى الروح القدس، لذلك صليت من أجلك. هذا أخذ أنفاسي. ذكرني قول كولتون أنه كان يصلي من أجلي في السماء برسالة العبرانيين، حيث يقول الكاتب: "لذلك، بما أننا محاطون بسحابة عظيمة من الشهود ... فلنجرِ بصبر في السباق المحدد لنا."٦ "كيف يبدو الله؟" قلت. "الله الروح القدس؟" عبس كولتون. "همم، هذا نوع من السؤال الصعب ... إنه أزرق نوعًا ما." وبينما كنت أحاول تخيل ذلك، غير كولتون مساره مرة أخرى. "كما تعلم، هناك التقيت بوالدي." "هل قابلت بوب جالسًا بجانب الروح القدس؟" أومأ كولتون بقوة، مبتسمًا لما بدا ذكرى سارة. "نعم. جاء بوب إلي وقال، "هل تود والدك؟" فقلتُ نعم. فقال أبي: "إنه حفيدي". كم مرة، عندما كنتُ أُشرف على جنازة، كان المعزون يُرددون العبارات المُعتادة ذات النية الحسنة: "حسنًا، إنها في مكان أفضل"، أو "نعلم أنه ينظر إلينا مُبتسمًا"، أو "ستراه مجددًا". بالطبع، كنتُ أُصدق هذه الأشياء نظريًا، ولكن لأكون صادقًا، لم أستطع تخيُّلها. الآن، مع ما قاله كولتون عن أبي وعن أخته، بدأتُ أُفكِّر في الجنة بطريقة مختلفة. ليست مجرد مكان ببوابات مُرصَّعة

بالجواهر، وأنهار مُتلألئة، وشوارع من ذهب، بل عالم من الفرح والرفقة، لكلٍّ منا في الأبدية، ولمن لا يزال على الأرض، الذين انتظرنا قدومهم بفارغ الصبر. مكانٌ سأمشي فيه يومًا ما وأتحدث مع جدي الذي كان يعني لي الكثير، ومع ابنتي التي لم ألتقِ بها قط. من كل قلبي، أردتُ أن أُصدِّق. في تلك اللحظة، بدأت تفاصيل محادثاتنا تتراكم في ذهني ككومة من الصور الفورية – صورٌ للجنة بدت دقيقةً بشكلٍ مذهلٍ من الأوصاف المتاحة لنا جميعًا في الكتاب المقدس – كلنا نستطيع القراءة، بالطبع. لكن هذه التفاصيل كانت غامضةً لمعظم البالغين، فما بالك بطفلٍ في سن كولتون الصغير.طبيعة الثالوث، ودور الروح القدس، وجلوس يسوع عن يمين الله. آمنتُ. ولكن كيف لي أن أتأكد؟ غطيتُ كولتون ببطانية على صدره وضممته كما يحلو له – ولأول مرة منذ أن بدأ يتحدث عن الجنة، حاولتُ عمدًا أن أعرقله. قلتُ: "أتذكر أنك قلتَ إنك بقيتَ مع أبي". "فعندما حلَّ الظلام وعدتَ إلى المنزل مع أبي، ماذا فعلتما؟" فجأةً، بدا كولتون جادًا، وعبس في وجهي. "لا يُظلم في الجنة يا أبي! من أخبرك بذلك؟" تمسكتُ بموقفي. "ماذا تعني أنها لا تُظلم؟" "الله ويسوع يُنيران الجنة. لا تُظلم أبدًا. إنها دائمًا مُشرقة". كانت النكتة عليّ. لم يقع كولتون في فخ خدعة "عندما يحل الظلام في السماء" فحسب، بل استطاع أن يخبرني لماذا لم يحل الظلام: "لا تحتاج المدينة إلى الشمس أو القمر ليضيئا عليها، لأن مجد الله ينيرها، والحمل هو سراجها".٧ تسعة عشر يسوع يحب الأطفال حقًا لعدة أشهر في أواخر عام ٢٠٠٣ وأوائل عام ٢٠٠٤، كانت هناك مجموعة معينة من الأشياء التي بدا أن كولتون يركز عليها. لقد تحدث عن الموت والموت بشكل أكثر غرابة – غريب حقًا – بالنسبة لطفل في عمره. كما شارك المزيد حول شكل الجنة. ظهرت هذه التفاصيل في أجزاء وقطع أثناء العشاء، بينما كان يؤدي المهمات مع سونيا وأنا، وخلال التدفق العام للحياة. لقد رأى أبواب الجنة، وقال: "كانت مصنوعة من ذهب وكان عليها لآلئ". كانت المدينة السماوية نفسها مصنوعة من

شـيء لامـع، "مثل الـذهب أو الفضـة". كانـت الزهـور والأشـجار فـي الجنـة "جميلـة"، وكان هناك حيوانات من كل نوع. مهما كانت المعلومات الجديدة التي كشفها، كان لـدى كولتـون موضـوع واحـد ثابـت: كـان يتحـدث باسـتمرار عـن مـدى حـب يسـوع للأطفال. أعني ذلك: باستمرار. كان يستيقظ في الصباح ويقول لي: "يا أبي، قال لي يسوع أن أخبرك أنـه يحـب الأطفال حقًا". وعلـى العشـاء مسـاءً: "تذكر، يسوع يحب الأطفال حقًا". قبل النوم، بينما كنت أساعده في تنظيف أسنانه، كان يقول: "يا أبي، لا تنسَ"، وهو يخلط الكلمات في فمه برغوة معجون الأسنان، "قال يسوع إنـه يحب الأطفال حقًا، حقًا!". وتلقت سونيا نفس المعاملة. كانت قد بدأت العمل بدوام جزئي مرة أخرى بحلول ذلك الوقت، وفي الأيام التي كانت تقضيها في المنزل مع كولتون، كان يغني طوال اليوم عن حب يسوع للأطفال. وصل الأمر لدرجة أنه لم يعد يهم أي قصة من الكتاب المقدس نقرأها أنا أو هي لمبشرنا الصغير في الليل، سواء من العهد القديم أو الجديد، عن موسـى أو نـوح أو الملـك سليمان، اختتم كولتـون الليلـة بـنفس الرسـالة: "يسـوع يحـب الأطفال!" أخيـرًا كـان علـيّ أن أقـول لـه: "كولتـون، لقد فهمنا الأمر. يمكنك التوقف. عندما أصل إلـى الجنـة، ستُبرأ. سأخبر يسوع أنك قمت بعملك." ربمـا سئمنا من رسـالة كولتون المتواصـلة عن محبـة يسوع للأطفال، لكنها غيّرت طريقة تعاملنا مع خدمة الأطفال في كنيستنا. لطالما كانت سونيا ممزقة بين الغنـاء فـي فريـق العبـادة خـلال خـدمات صـباح الأحـد والنـزول إلـى الطـابق السـفلي لتدريس مدرسة الأحد للأطفال. وبينما كانت تعلم أن الإحصائيات تُظهر أن معظم من يعلنون إيمانهم بالمسيح يفعلون ذلك في سن مبكرة، كان إصرار كولتون الشديد على محبة المسيح للأطفال هو ما منح سونيا طاقة جديدة لخدمة أطفالنا. أصبحتُ أكثر جرأةً فـي دعوة أعضـاء الكنيسـة للخدمـة فـي خدمـة أطفالنـا. علـى مر السنين، اضطُررتُ لبذل جهدٍ كبيرٍ لإقنـاع النـاس بالتسجيل للتدريس فـي مدارس الأحد. كـانوا يُعنّفونني لفظيًا، قائلين: "لقد حلّ دوري العام الماضـي"، أو "أنـا كبيرٌ فـي السنّ علـى

ذلك". الآن، عندما واجهتُ نفس الأعذار، ذكّرتُ الناسَ بمحبةٍ بأن يسوع كان ينظر إلى الأطفال على أنهم ثمينون – وأنه إذا كان يحبّ الأطفال بما يكفي ليقول إن على الكبار أن يكونوا مثلهم، فعلينا أن نُكرّس المزيد من الوقت لمحبّتهم أيضًا. خلال ذلك الوقت، أصبح كولتون أيضًا مهووسًا بأقواس قزح. كل حديثه عن روعة ألوان السماء ذكّرني أنا وسونيا بسفر الرؤيا، حيث كتب الرسول يوحنا تحديدًا عن قوس قزح المحيط بعرش الله،١ ووصف السماء بأنها مدينةٌ من ذهبٍ برّاقة: "كان سورها مبنيًا من يشب، والمدينة من ذهبٍ نقيّ، صافية كالزجاج. وكانت أساسات سور المدينة مُزيّنةً بكلّ نوعٍ من الجواهر". الأول كان اليشب، والثاني الياقوت، والثالث العقيق، والرابع الزمرد، والخامس الجزع، والسادس العقيق الأحمر، والسابع الزبرجد، والثامن البريل، والتاسع التوباز، والعاشر الكريسوبراسي، والحادي عشر الياقوتي، والثاني عشر الجمشت.٢ بعض هذه الأحجار الكريمة بألوان مألوفة لنا: البنفسجي الغامق للجمشت، والأخضر اللامع للزمرد، والذهب الشفاف للتوباز، والأسود العميق للعقيق. والبعض الآخر أقل شيوعًا: الزبرجد، وهو أخضر فاتح إلى زيتوني؛ والياسمين، وهو أحمر شفاف. يوجد البريل بألوان عديدة، من الوردي الفاتح إلى الأخضر الداكن إلى الأكوامارين. مع أحجاره الكريمة غير المألوفة، فإن وصف جون غريب جدًا بالنسبة لنا لدرجة أنه يتعين علينا البحث عن المعادن لمعرفة الألوان التي كان يتحدث عنها؛ يريد علماء اللاهوت البالغون أن يكونوا دقيقين. لكن إذا رأى طفل كل تلك الألوان، فقد يلخصها في كلمة واحدة بسيطة: قوس قزح. لذلك عندما ظهر في ربيع عام ٢٠٠٤، قوس قزح الأكثر تألقًا الذي رأيناه على الإطلاق فوق إمبريال، استدعيناه إلى الخارج لإلقاء نظرة. كانت سونيا أول من رآه. بحلول ذلك الوقت، كانت قد مضت بضعة أسابيع فقط على حملها بالطفل الذي اعتبرناه الآن طفلنا الرابع بالتأكيد. كان يومًا دافئًا ومشمسًا، وذهبت لفتح الباب الأمامي والسماح للنضارة بالدخول إلى المنزل. "مرحبًا يا رفاق، تعالوا وانظروا إلى هذا!" نادت. من المطبخ،

عبرت غرفة الطعام إلى الباب الأمامي واندهشت لرؤية قوس قزح ساطعًا وحيويًا للغاية، لدرجة أنه بدا وكأنه لوحة فنان لقوس قزح المثالي. أو طفل يحمل علبة أقلام تلوين جديدة تمامًا توضح درس العلوم الخاص به: ROY G BIV. انفصل كل لون بشكل حاد عن الآخر، والقوس بأكمله يتوهج في سماء زرقاء صافية. "هل أمطرت وفاتتني؟" سألت سونيا. ضحكت. "لا أظن ذلك." كان كولتون في نهاية الممر في غرفة اللعب. ناديتُ عليه: "مهلاً يا كولتون، تعالَ وانظر إلى هذا." خرج من غرفة اللعب وانضم إلينا على الشرفة الأمامية. قالت سونيا: "انظر إلى قوس قزح يا كولتون. لا بد أن يكون هناك قدر كبير من الذهب في نهاية هذا الشيء." حدّق كولتون، وهو ينظر إلى الألوان المتدفقة عبر السماء. قال بابتسامة لا مبالية: "رائع. لقد دعوتُ من أجل ذلك بالأمس." ثم استدار وعاد للعب. تبادلنا أنا وسونيا النظرات وكأننا نتساءل: ماذا حدث للتو؟ ولاحقًا تحدثنا مرة أخرى عن صلوات الطفل النقية. قال يسوع: "اسألوا تُعطوا". وضع هذه الوصية في سياق طفل يطلب البركة من والده. قال يسوع للجموع التي تجمعت لسماع تعليمه في تلال الجليل المنخفضة: "من منكم إذا سأله ابنه خبزًا، فيعطيه حجرًا؟" "أو إذا طلب سمكة، فهل يعطيه حية؟ إذا كنتم، وأنتم أشرار، تعرفون كيف تعطون أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري أبوكم الذي في السموات يعطون عطايا جيدة للذين يسألونه!"٣ لم ير كولتون بوربو قوس قزح منذ فترة، لذلك طلب من أبيه السماوي أن يرسل واحدًا. إيمان كطفل. ربما، فكرت أنا وسونيا، كان لدينا الكثير لنتعلمه من ابننا. عشرون يموت ويعيش كان ربيع عام ٢٠٠٤ هو العام الذي مضى على إقامة كولتون في المستشفى. في ذلك العام، صادف يوم الجمعة العظيمة في أبريل، وبعد شهر واحد فقط، سيبلغ كولتون من العمر خمس سنوات. لطالما استمتعت بيوم الجمعة العظيمة لأنني كنت أفعل ما أسميه "تناولًا عائليًا متقطعًا". هذا يعني أنني كنت أقضي وقتًا في الكنيسة لبضع ساعات، وكانت العائلات تأتي وتتناول معًا. لقد أحببت ذلك لسببين. أولاً، أعطى

عائلات كنيستنا فرصة لقضاء بعض الوقت المميز معًا خلال أسبوع الآلام. كما أعطاني ذلك فرصة لسؤال العائلات بشكل فردي عن احتياجاتهم للصلاة والصلاة مع العائلة بأكملها على الفور. في ذلك الصباح، كنت بحاجة إلى إنجاز بعض المهمات، لذلك وضعت كاسي وكولتون في شاحنتي شيفروليه الحمراء وسافرت لبضعة مبانٍ إلى المدينة. لا يزال صغيرًا بما يكفي ليحتاج إلى مقعد معزز، ركب كولتون بجانبي، وجلست كاسي بجانب النافذة. بينما كنا نقود في شارع برودواي، الشارع الرئيسي عبر المدينة، كنت أفكر في مسؤولياتي لهذا اليوم، وأفكر في خدمة المناولة العائلية. ثم أدركت أنه كان عطلة دينية وكان لدي جمهور أسير هناك في الشاحنة. قلت: "مرحبًا يا كولتون، اليوم هو الجمعة العظيمة". "هل تعرف ما هي الجمعة العظيمة؟" بدأت كاسي تقفز لأعلى ولأسفل على المقعد ولوحت بيدها في الهواء كطالبة متلهفة. "أوه، أعرف! أعرف!" قال كولتون: "لا أعرف". نظرت إلى كاسي. "حسنًا، ما هي الجمعة العظيمة؟" "هذا هو اليوم الذي مات فيه يسوع على الصليب!" "أجل، هذا صحيح يا كاسي. هل تعرفين لماذا مات يسوع على الصليب؟" عندها، توقفت عن الارتداد وبدأت بالتفكير. عندما لم تتوصل إلى أي شيء على الفور، قلت: "كولتون، هل تعرف لماذا مات يسوع على الصليب؟" أومأ برأسه، مما أثار دهشتي قليلاً. "حسنًا، لماذا؟" "حسنًا، أخبرني يسوع أنه مات على الصليب لنتمكن من رؤية والده." في مخيلتي، تخيلت يسوع، وكولتون في حجره، يمر بسرعة عبر جميع شهادات المعاهد اللاهوتية، ويهدم الأطروحات اللاهوتية المتراكمة كناطحات سحاب، ويختصر كلمات منمقة مثل الكفارة وعلم الخلاص إلى شيء يمكن للطفل فهمه: "كان عليّ أن أموت على الصليب حتى يتمكن الناس على الأرض من رؤية والدي." كان جواب كولتون على سؤالي أبسط وأحلى إعلان للإنجيل سمعته في حياتي. فكرت مرة أخرى في الفرق بين إيمان الكبار وإيمان الأطفال. أثناء قيادتي في شارع برودواي، قررتُ أني أفضل حالاً مع كولتون. سرتُ

صامتاً لبضع دقائق. ثم التفتُّ إليه وابتسمتُ. "مهلاً، هل تريد أن تُلقي عظةً يوم الأحد؟" في وقتٍ لاحق من ذلك الشهر، أربكني كولتون مرةً أخرى. هذه المرة، كان الأمر متعلقاً بالحياة أو الموت. لديّ أنا وسونيا نظرية: من اللحظة التي يمشي فيها الطفل حتى الصف الأول تقريباً، فإن إحدى المهام الرئيسية للآباء هي الحفاظ على حياة أطفالهم. لا شوك في مقابس الإضاءة. لا مجففات شعر في حوض الاستحمام. لا علب صودا في الميكروويف. لقد أبلينا بلاءً حسناً مع كاسي. بحلول ذلك الوقت، كانت في السابعة من عمرها ولم تعد تُشكّل خطراً على نفسها وعلى الآخرين. أما كولتون، فكانت قصته مختلفة. على الرغم من ذكائه في كثير من الأمور، إلا أن هناك شيئاً واحداً لم يستطع استيعابه: إذا التقى جسد بشري بسيارة متحركة، تحدث أشياء سيئة. رغم أنه كان على وشك دخول روضة الأطفال، إلا أنه كان لا يزال صغيرًا وممتلئًا، وهي طريقة لطيفة للقول إنه يشبه والده وكان قصيرًا بالنسبة لعمره. كان أيضًا كرة نارية، في اللحظة التي نخرج فيها من المتجر، يركض إلى السيارة. كنا مرعوبين من أن السائقين الآخرين لن يتمكنوا من رؤيته وقد يتراجعون خلفه. بدا أنه مرة أو مرتين على الأقل في الأسبوع، كان علينا أن نسحبه من الرصيف أو نصرخ خلفه، "كولتون، توقف!" ثم نلحق به لنوبخه: "عليك أن تنتظرنا! عليك أن تمسك بيد ماما أو بابا!" في أحد أيام أواخر أبريل، توقفت أنا وكولتون عند مطعم سويدن كريم لتناول وجبة خفيفة. سويدن كريم هو نوع من مطاعم السيارات المملوكة للعائلة، وهو الحل في البلدة الصغيرة لسلاسل الوجبات السريعة التي تتجاهلنا جميعًا لأننا صغيرون جدًا. كل بلدة صغيرة في نبراسكا لديها أحد هذه الأماكن. يوجد في ماكوك مطعم ماك؛ ويوجد في بنكلمان مطعم دوبس. في هوليوك، البلدة الصغيرة الواقعة خلف خط ولاية كولورادو، يوجد مطعم ديري كينج. وجميعهم يقدمون نفس الشيء: سلال الهامبرجر وأصابع الدجاج والآيس كريم الطري. في ذلك اليوم، اشتريت مخروط الفانيليا، واحد لكل مني ومن كولتون. وكما هو متوقع، عندما

خرجنا من الباب، أخذ مكافأته وانطلق إلى موقف السيارات، الذي يبعد بضع عشرات من الأقدام فقط عن برودواي. صرخت بقلبي في حلقي، "كولتون، توقف!" ضغط على المكابح، وركضت نحوه، ووجهي أحمر، أنا متأكد. قلت: "يا بني، لا يمكنك فعل ذلك!". "كم مرة قلنا لك ذلك؟" في تلك اللحظة، لاحظت كومة صغيرة من الفراء في منتصف برودواي. انتهزت ما اعتقدت أنه لحظة تعليمية، وأشرت إليها. "أترى ذلك؟" أخذ كولتون لعق مخروطه الخاص وتبع إصبعي بعينيه. "هذا أرنب كان يحاول عبور الشارع ولم ينجح،" قلت. "هذا ما يمكن أن يحدث إذا خرجت مسرعًا ولم تراك سيارة! لن تتأذى فحسب؛ بل قد تموت!" نظر إليّ كولتون وابتسم من فوق مخروطه. "أوه، جيد!" قال. "هذا يعني أنني سأعود إلى الجنة!" أخفضت رأسي وهززته، منزعجًا. كيف تخيف طفلًا لا يخاف الموت؟ أخيرًا انحنيت على ركبة واحدة ونظرت إلى ابني الصغير. "أنت تفتقد النقطة،" قلت. "هذه المرة، أصل إلى الجنة أولاً. أنا الأب؛ أنت الطفل. الآباء يذهبون أولاً!" واحد وعشرون أول شخص ستراه مر معظم ذلك الصيف دون أي اكتشافات جديدة من كولتون، على الرغم من أنني متأكد من أننا لعبنا لعبة "كيف يبدو يسوع؟" في إجازتنا، مع إعطاء كولتون إبهامًا لأسفل لكل صورة رأيناها. لقد وصل الأمر إلى حد أنه بدلاً من سؤاله "هل هذا صحيح؟" بدأنا أنا وسونيا نسأله، على الفور، "ما الخطأ في هذا؟" جاء شهر أغسطس ومعه شهرة إمبريال السنوية، معرض مقاطعة تشيس. بجانب معرض الولاية نفسه، يُعد معرضنا أكبر معرض مقاطعة في غرب نبراسكا. في إمبريال والمدن المحيطة لأميال، إنه حدث العام. لمدة أسبوع كامل في أواخر أغسطس، تضخم عدد سكان إمبريال من ألفي نسمة إلى حوالي خمسة عشر ألفًا. تغير الشركات ساعات عملها (أو تغلق تمامًا)، وحتى البنوك تغلق عند الظهر حتى يتمكن المجتمع بأكمله من الحضور للحفلات الموسيقية (موسيقى الروك ليلة الجمعة، والريف ليلة السبت)، والبائعين، والألعاب الدوارة وأضواء كرنفال ضخم في منتصف الطريق. في كل عام،

نتطلـع إلـى مشـاهد وأصـوات وروائـح المعـرض: ذرة كيتـل، وشـواء، و"تـاكو هنـدي" (مكونـات تـاكو مكدسـة علـى شريحة من الخبز المسطح). موسيقى الريف تطفو في الهواء. عجلـة فيريس ترتفع فوق كل ذلك، ويمكن رؤيتها من جميع أنحـاء المدينـة. هذا المعرض هو بالتأكيد حدث في الغرب الأوسط، حيث يحكم ٤-H على الماشية لأفضـل ثـور وأفضـل حصـان وأفضـل خنزيـر، وهـذا النـوع مـن الأشياء، إلـى جانـب المفضـل لدى الأطفـال: "Mutton Bustin"". في حال لم تسمع أبدًا عن Mutton Bustin، فهذا هو المكان الذي يوضـع فيـه طفل علـى خـروف ويحـاول هو أو هـي ركوبـه لأطـول فتـرة ممكنـة دون أن يسقط. هنـاك كـأس ضـخم لكل فئـة عمريـة، مـن خمسة إلى سبعة. في الواقع، عادةً ما يكون كأس المركز الأول أطول من المتسابق الصـغير. هنـاك بالتأكيـد نكهـة محليـة صـغيرة فـي معرضـنا، كمـا اكتشـف أحد رواد أعمال عصير الليمون بالطريقة الصعبة. في أحد الأعوام، قرر هذا الرجل أنـه يمكنـه بيع المزيد من مشروبه اللذيذ باستخدام ما قد تسميه نهج Hooters للتسويق. بعد ليلـة أو ليلتين، اشتكى عدد من النـاس من فريق المبيعـات شبه العـاري فـي كشـكه، واضـطر بعـض المـواطنين القلقـين أخيـرًا إلـى مواجهتـه وإخبـاره أن بائعـات الليمـون بحاجـة إلـى ارتداء المزيد من الملابس. ومـع ذلك، يبدو أنـه كـان لديـه طـابور طويـل جدًا في كشكه في تلك الليالي الأولى. في أغسطس ٢٠٠٤، قمت أنا وسونيا بتركيب كشـك فـي منتصـف الطريـق لجـذب زوار المعرض مـن خـارج المدينـة إلـى عملنـا فـي بـاب المرآب. ولكـن كمـا هـو الحـال دائمًـا، كـان علـيّ تخصـيص وقـت لموازنـة هـذا العمل مـع عمل رعايـة جماعتنـا. فـي ظهيرة دافئـة خـلال أسبوع المعـرض ذلـك، كنـا جميعًا الأربعة – أنـا وسونيا والطفلان – نعتنـي بالكشك ونوزع الكتيبات ونتحدث مـع العمـلاء المحتملـين. لكننـي كنـت بحاجـة إلـى التوقـف والقيـادة لبضـعة مبـانٍ إلـى دار رعاية المسنين إمبريال مـانور لزيـارة رجل يُدعـى هارولد جرير. في ذلك الوقت، كانت ابنـة هارولـد، غلوريا مارشـال، عازفـة لوحـة المفاتيح فـي فريق العبادة بالكنيسـة، وكـان

زوجها دانيال يعمل مساعدًا لي في خدمة العبادة وقائدًا لها. كان هارولد، الذي قس معظم حياته، في الثمانينيات من عمره ويحتضر.كنت أعلم أنه يقترب من ساعاته الأخيرة، وأنني بحاجة لزيارة أخرى لدعم دانيال وغلوريا، وللصلاة مع هارولد مرة أخرى على الأقل. عندما تكون قسًا/متطوعًا في الإطفاء/مدرب مصارعة/صاحب عمل، وتحاول التوفيق بين جميع الدبابيس دون أن تسقط أي منها، تتعلم بسرعة أن الأطفال سهلو الحمل. من جانبها، كانت سونيا تعمل كزوجة قس، وهي وظيفة بدوام كامل في حد ذاتها، بالإضافة إلى كونها أمًا ومعلمة ومتطوعة في المكتبة وسكرتيرة في شركة العائلة. على مر السنين، اكتسبنا عادة أنه إذا لم نكن ذاهبين إلى العمل رسميًا، فإننا نختار طفلًا ونأخذه معنا. لذلك في عصر ذلك اليوم في المعرض، تركت سونيا، وهي الآن حامل في شهرها السابع، وكاسي مسؤولة عن كشك البائعين، وربطت كولتون في مقعد سيارته في شاحنتي، وتوجهنا إلى دار المسنين. أطل كولتون من النافذة بينما كنا نمر بعجلة فيريس في طريقنا إلى أرض المعرض. "سنذهب لرؤية والد غلوريا، هارولد، في دار المسنين"، قلت. "إنه ليس على ما يرام وربما لم يتبق له الكثير من الوقت. ضحى هارولد بحياته ليسوع منذ زمن طويل، وهو يستعد للذهاب إلى الجنة." لم يرفع كولتون نظره عن النافذة. "حسنًا يا أبي." دار المسنين عبارة عن مبنى مترامي الأطراف من طابق واحد مع غرفة طعام ضخمة قبالة الردهة الأمامية، والتي تضم أيضًا قفص طيور داخليًا ضخمًا مليئًا بالعصافير التي ترفرف وتغرد وتنقل عادةً الهواء الطلق إلى الداخل. عندما ألقيت نظرة خاطفة على غرفة هارولد، رأيت دانيال وغلوريا، إلى جانب ثلاثة أو أربعة من أفراد العائلة، بما في ذلك زوجان أعرف أنهما ابنتا هارولد الأخريان. وقف دانيال. "مرحبًا، القس تود"، قال بينما طويت يده للمصافحة في عناق. وقفت غلوريا، وعانقتها أيضًا. استقبلت العائلة كولتون، الذي تمسك بيدي بينما ألقى تحيات هادئة. التفتُّ إلى سرير هارولد ورأيته مستلقيًا في سكون تام، يتنفس بعمق، على فترات متباعدة. لقد رأيت

رجالًا ونساءً في هذه المرحلة من نهاية الحياة مرات عديدة. عندما يصلون إلى لحظاتهم الأخيرة، فإنهم يتسللون إلى الوعي ويخرجون منه وحتى أثناء اليقظة، يدخلون ويخرجون من الوضوح. التفتُّ إلى غلوريا. "كيف حال والدك؟" سألت. "إنه متمسك، لكنني لا أعتقد أن لديه وقتًا أطول"، قالت. كان وجهها شجاعًا، لكنني استطعت أن أرى ذقنها يرتجف قليلاً وهي تتحدث. في تلك اللحظة، بدأ هارولد يئن بهدوء ويتلوى تحت الملاءة الرقيقة التي تغطيه. وقفت إحدى شقيقات غلوريا وسارت نحو السرير، وهمست بكلمات مطمئنة، ثم عادت إلى مقعدها بجوار النافذة. مشيت ووقفت عند رأس هارولد، وكولتون يتبعني مثل ظل صغير. كان هارولد نحيفًا وأصلعًا، مستلقيًا على ظهره، عيناه بالكاد مفتوحتان، وشفتاه مفتوحتان قليلاً. تنفس من فمه وبدا وكأنه يحبس أنفاسه، كما لو كان يعصر آخر جزيء أكسجين منه قبل أن يزفر مرة أخرى. نظرت إلى أسفل فرأيت كولتون يحدق في هارولد، وعلى وجهه نظرة هدوء وطمأنينة تامة. وضعت يدي على كتف القس العجوز، وأغمضت عيني، وصليت بصوت عالٍ، مذكرًا الله بخدمة هارولد الطويلة والمخلصة، سائلًا الملائكة أن تجعل رحلته سريعة وسهلة، وأن يستقبل الله خادمه بفرح عظيم. عندما انتهيت من الصلاة، التفت للانضمام إلى العائلة. بدأ كولتون بالعودة إلى الجانب الآخر من الغرفة معي، لكنه استدار على عقبه وعاد إلى سرير هارولد. بينما كنا نشاهد، مدّ كولتون يده وأمسك بيد هارولد. كانت لحظة إي إف هاتون. راقب الجميع باهتمام، واستمعوا. حدق كولتون بجدية في وجه هارولد وقال: "سيكون كل شيء على ما يرام. أول شخص ستراه هو يسوع". كانت نبرته واقعية، كما لو كان يصف شيئًا حقيقيًا ومألوفًا مثل محطة الإطفاء في المدينة. تبادل دانيال وغلوريا النظرات وغمرني شعور سريالي. بحلول ذلك الوقت، كنت معتادًا على سماع كولتون يتحدث عن الجنة. لكنه الآن أصبح رسولًا، مرشدًا سياحيًا صغيرًا لمسافر سماوي مغادر. اثنان وعشرون لا أحد كبير في السن في الجنة عندما توفي أبي عام ١٩٧٥، ورثت

بعض الأشياء. كنت فخورًا بتلقي البندقية الصغيرة عيار ٢٢ التي استخدمتها عندما كنا نصطاد أنا وهو كلاب البراري والأرانب معًا. كما ورثت أيضًا كرة البولينج الخاصة بأبي، ولاحقًا، مكتبًا قديمًا كان يمتلكه جدي منذ أن كانت أمي تتذكر. مع وجود بقعة متوسطة في مكان ما بين القيقب والكرز، كانت قطعة مثيرة للاهتمام، أولاً لأنها كانت مكتبًا صغيرًا جدًا لمثل هذا الرجل الضخم، وثانيًا، لأن الجزء الذي تدفع فيه كرسيك للأسفل منحني حولك بدلاً من أن يكون حافة مستقيمة مثل المكتب العادي. عندما كنت مراهقًا، غارقًا في ورشة النجارة بالمدرسة، قضيت ساعات طويلة في مرآب والديّ، أُجدد مكتب جدّي. ثم نقلته إلى غرفتي، كتذكار جميل لرجلٍ من أهل الأرض. منذ أن وضعت المكتب في الخدمة، احتفظت بصورة جدّي في الدرج العلوي الأيسر، وأخرجها بين الحين والآخر لأستعيد ذكرياتي. كانت آخر صورة التُقطت لجدي؛ فقد ظهر في الحادية والستين من عمره، بشعر أبيض ونظارات. عندما تزوجت أنا وسونيا، أصبح المكتب والصورة جزءًا من منزلنا. بعد أن بدأ كولتون بالحديث عن لقائه بجدّي في الجنة، لاحظتُ أنه أعطى تفاصيل جسدية محددة عن شكل يسوع، كما وصف أخته التي لم تولد بعد بأنها "أصغر قليلاً من كاسي، ذات شعر داكن". ولكن عندما سألته عن شكل جدّي، كان كولتون يتحدث بشكل رئيسي عن ملابسه وحجم جناحيه. ولكن عندما سألته عن ملامح وجهه، أصبح غامضًا بعض الشيء. يجب أن أعترف، كان الأمر يزعجني نوعًا ما. في أحد الأيام، بعد فترة وجيزة من رحلتنا إلى بنكلمان، ناديتُ كولتون على القبو وأخرجتُ صورتي العزيزة لوالدي من الدرج. قلتُ: "هكذا أتذكر والدي". أخذ كولتون الإطار، وأمسكه بكلتا يديه، وحدق في الصورة لدقيقة تقريبًا. انتظرتُ حتى أشرق وجهه مُتعرفًا، لكنه لم يفعل. في الواقع، تجعد وجهُه بين عينيه وهز رأسه. قال كولتون: "أبي، لا أحد كبير في السن في الجنة. ولا أحد يرتدي نظارات". ثم استدار وصعد الدرج. لا أحد كبير في السن في الجنة... هذا الكلام جعلني أفكر. بعد فترة،

اتصلتُ بأمي في يوليسيس. "مهلاً، هل لديكِ صور لوالدي عندما كان شابًا؟" قالت: "أنا متأكدة من ذلك. سأبحث عنها، مع ذلك. هل تريدينني أن أرسلها إليكِ بالبريد؟" "لا، لا أريد أن تضيع. فقط انسخي نسخة وأرسليها بالبريد." مرت عدة أسابيع. ثم في أحد الأيام، فتحت صندوق البريد لأجد ظرفًا من أمي يحتوي على نسخة مصورة من صورة قديمة بالأبيض والأسود. علمت لاحقًا أن أمي قد استخرجتها من صندوق كانت تخزنه في خزانة غرفة النوم الخلفية منذ أن كانت كاسي طفلة، وهو صندوق لم ير ضوء النهار منذ عامين قبل ولادة كولتون. كان هناك أربعة أشخاص في الصورة، وكتبت أمي ملاحظة مرفقة تشرح من هم: جدتي إيلين، في العشرينيات من عمرها في الصورة، لكنها الآن في الثمانينيات من عمرها ولا تزال تعيش في يوليسيس. كانت عائلتي قد رأتها آخر مرة قبل شهرين فقط. أظهرت الصورة أيضًا أمي وهي طفلة رضيعة، تبلغ من العمر حوالي ثمانية عشر شهرًا؛ وعمي بيل، الذي كان يبلغ من العمر حوالي ست سنوات؛ وجدي، وهو رجل وسيم، كان يبلغ من العمر تسعة وعشرين عامًا عندما التُقطت الصورة عام ١٩٤٣. بالطبع، لم أخبر كولتون أبدًا أنه كان يضايقني أنه لم يبدو أنه يتعرف على جدي من صورتي التذكارية القديمة. في ذلك المساء، كنت أنا وسونيا نجلس في الغرفة الأمامية عندما ناديت كولتون ليصعد إلى الطابق العلوي. استغرق الأمر بعض الوقت ليظهر، وعندما ظهر، أخرجت الصورة المصورة التي أرسلتها أمي. قلت، وأنا أمد له الورقة: "مرحبًا، تعال هنا وألق نظرة على هذا يا كولتون". "ما رأيك؟" أخذ الصورة من يدي، ونظر إلى أسفل، ثم نظر إليّ، وعيناه مليئتان بالدهشة. قال بسعادة: "مرحبًا!" "كيف حصلت على صورة لجدك؟" نظرنا أنا وسونيا إلى بعضنا البعض، في دهشة. قلت: "كولتون، ألا تتعرف على أي شخص آخر في الصورة؟" هز رأسه ببطء. "لا ..." انحنيت وأشرت إلى جدتي. "من تعتقد أن هذا؟" "لا أعرف". "هذه الجدة إيلين". تحولت عينا كولتون إلى الشك. "هذا لا يشبه الجدة إيلين". نظرت إلى سونجا

وضحكت. "حسنًا، كانت تبدو هكذا." "هل يمكنني الذهاب للعب؟" قال كولتون وهو يسلمني الصورة. بعد أن غادر الغرفة، تحدثت أنا وسونيا عن مدى إثارة اهتمام كولتون بتعرفه على جده من صورة التقطت قبل أكثر من نصف قرن من ولادته – وهي صورة لم يرها من قبل – لكنه لم يتعرف على جدته الكبرى التي رآها قبل شهرين فقط. بعد أن فكرنا في الأمر، فإن حقيقة أن جده الذي قال كولتون إنه قضى وقتًا معه لم يعد في الحادية والستين من عمره ولكنه في مكان ما في ذروته، بدت لنا بمثابة سيناريو أخبار جيدة / أخبار سيئة: الخبر السيئ هو أنه في الجنة، سنظل نبدو مثل أنفسنا. والخبر السار هو أنه سيكون النسخة الأصغر. ثلاثة وعشرون قوة من السماء في ٤ أكتوبر ٢٠٠٤، دخل كولبي لورانس بوربو العالم. منذ اللحظة التي ولد فيها، بدا وكأنه نسخة كربونية من كولتون. ولكن كما هو الحال مع جميع الأطفال، فقد جعله الله فريدًا أيضًا. إذا كانت كاسي طفلتنا الحساسة وكولتون طفلنا الجاد، فقد كان كولبي مهرجنا. منذ صغره، أضافت طرافة كولبي جرعة جديدة من الضحك إلى منزلنا. في إحدى أمسيات ذلك الخريف، استقرت سونيا مع كولتون لتقرأ له قصة من الكتاب المقدس. جلست على حافة سريره وقرأت له القصة بينما كان كولتون مستلقيًا تحت بطانيته، رأسه ملتصقًا بوسادته. ثم حان وقت الصلاة. من أعظم نعم حياتنا كآباء الاستماع إلى أطفالنا وهم يصلون. في صغرهم، يصلي الأطفال دون ذلك التكلف الذي يتسلل أحيانًا إلى صلواتنا كبالغين، دون ذلك النوع من "لغة الصلاة"، وهي لغة تهدف إلى جذب أي شخص يستمع أكثر من الله. وعندما كان كولتون وكاسي يدعوان بطريقتهما البسيطة والجادة، بدا وكأن الله يستجيب. منذ الصغر، طوّرنا عادة إعطاء الأطفال أمورًا محددة للصلاة من أجلها، ليس فقط لبناء إيمانهم، ولكن أيضًا لأن الصلاة من أجل الآخرين هي وسيلة لتنمية قلب يستجيب لاحتياجات أخرى غير احتياجاتنا. "هل تعلم كيف يعظ أبي كل أسبوع؟" قالت سونيا وهي تجلس بجانب كولتون: "أعتقد أنه يجب أن نصلي من

أجله، وأن يحصل على الكثير من وقت الدراسة الجيد هذا الأسبوع حتى يتمكن من إلقاء رسالة جيدة في الكنيسة صباح الأحد". نظر إليها كولتون وقال أغرب شيء: "لقد رأيت أن الطاقة قد انخفضت إلى أبي". أخبرتني سونيا لاحقًا أنها استغرقت لحظة لتقلب هذه الكلمات في ذهنها. هل انخفضت الطاقة؟ "ماذا تقصد يا كولتون؟" "يسوع ينزل الطاقة على أبي عندما يتحدث." تحركت سونيا على السرير حتى تتمكن من النظر مباشرة في عيني كولتون. "حسنًا ... متى؟ مثل عندما يتحدث أبي في الكنيسة؟" أومأ كولتون. "نعم، في الكنيسة. عندما يروي قصص الكتاب المقدس للناس." لم تعرف سونيا ماذا تقول لذلك، وهو موقف اعتدنا عليه على مدار العام والنصف الماضيين. لذلك صلت هي وكولتون معًا، وأرسلتا مشاعل إلى السماء بأن أبي سيقدم رسالة جيدة يوم الأحد. ثم انزلقت سونيا في الردهة إلى غرفة المعيشة لتشاركني حديثهما. قالت: "لكن لا تجرؤ على إيقاظه لتسأله عن ذلك!" لذا كان عليّ الانتظار حتى صباح اليوم التالي أثناء تناول الإفطار. قلتُ وأنا أسكب الحليب في وعاء حبوب كولتون المعتاد: "مرحبًا يا صديقي". "قالت أمي إنكما كنتما تتحدثان الليلة الماضية أثناء وقت قصة الكتاب المقدس. هل يمكنك أن تخبرني بما كنت تخبر أمي به عن... عن يسوع الذي يُسقط الطاقة؟ كيف تبدو الطاقة؟" قال كولتون ببساطة: "إنها الروح القدس. لقد شاهدته. لقد أراني". "الروح القدس؟" "نعم، إنه يُسقط الطاقة نيابةً عنك عندما تتحدث في الكنيسة". لو كانت هناك فقاعات أفكار هزلية فوق رؤوس الناس، لكانت رؤوسي مليئة بعلامات الاستفهام ونقاط التعجب في تلك اللحظة. كل صباح أحد قبل أن ألقي العظة، أصلي صلاة مماثلة: "يا إلهي، إذا لم تساعد هذا الصباح، فستفشل هذه الرسالة". في ضوء كلمات كولتون، أدركت أنني كنت أصلي دون أن أعرف حقًا ما كنت أصلي من أجله. ولتخيل أن الله يجيبني بـ "إسقاط الطاقة" ... حسنًا، كان الأمر لا يصدق. لحظة علي الرابعة والعشرون بعد ولادة كولبي، وجدت أنا وسونيا أن ديناميكية اصطحاب الأطفال معنا في كل مكان

قد تغيرت. الآن أصبحنا أقل عددًا بثلاثة إلى اثنين. قررنا أن الوقت قد حان لمربية أطفال منتظمة، لذلك استأجرنا طالبًا ناضجًا ومسؤولًا في الصف الثامن يُدعى علي تيتوس لمراقبة الأطفال نيابةً عنا. في ليالي الاثنين، كنت أنا وسونيا لا نزال نلعب كرة لينة مختلطة في فريق "كبار السن" الخاص بنا، على الرغم من أن أيام الانزلاق الخاصة بي قد ولت. في أحد أمسيات الاثنين في عام ٢٠٠٥، جاءت علي لرعاية كاسي وكولتون وكولبي حتى نتمكن من الذهاب إلى لعبتنا. كانت الساعة حوالي العاشرة مساءً عندما عدنا إلى الممر. خرجت سونيا ودخلت لتطمئن على علي والأطفال بينما أغلقت المرآب ليلًا، لذلك لم أسمع ما حدث في الداخل حتى بعد بضع دقائق من الواقعة. يؤدي باب المرآب الداخلي إلى مطبخنا، وعندما دخلت، أخبرتني سونيا لاحقًا، وجدت علي عند الحوض، يغسل أطباق العشاء... ويبكي. قالت سونيا: "علي، ما الخطب؟" هل كان شيئًا ما مع علي، أم شيئًا حدث مع الأطفال؟ سحبت علي يديها من ماء الصحون وجففتهما بمنشفة. بدأت قائلة: "همم... لا أعرف حقًا كيف أقول هذا، سيدتي بوربو". نظرت إلى الأرض مترددة. قالت سونيا: "لا بأس، علي". "ما الأمر؟" نظرت علي إلى الأعلى وعيناها مليئة بالدموع. "حسنًا، أنا آسفة لسؤالك هذا، ولكن... هل أجهضت؟" قالت سونيا مندهشة: "نعم، لقد أجهضت". "كيف عرفت ذلك؟" "همم... تحدثتُ أنا وكولتون قليلًا." دعت سونيا علي للجلوس معها على الأريكة وإخبارها بما حدث. "بدأ الأمر بعد أن وضعتُ كولبي وكولتون في الفراش،" بدأت علي. نزلت كاسي إلى غرفتها، وأعطت علي كولبي زجاجة حليب ثم وضعته في سريره في الطابق العلوي. ثم اتجهت إلى الردهة، ووضعت كولتون في سريره، وخرجت إلى المطبخ لتنظيف ما بعد وجبة العشاء التي أطعمتها للأطفال. "كنتُ قد أغلقتُ الماء في الحوض عندما سمعتُ كولتون يبكي." أخبرت علي سونيا أنها ذهبت للاطمئنان على كولتون ووجدته جالسًا في سريره، والدموع تنهمر على وجهه. "ما بك يا كولتون؟" سألته. شهق كولتون

ومسح عينيه. "أفتقد أختي،" قال. قالت علي إنها ابتسمت، مرتاحة لأن المشكلة بدت بسيطة. "حسنًا يا عزيزتي، هل تريدينني أن أنزل وأحضرها لكِ؟" هز كولتون رأسه. "لا، أفتقد أختي الأخرى." الآن أصبح علي مرتبكًا. "أختك الأخرى؟ لديك أخت واحدة فقط وأخ واحد، كولتون. كاسي وكولبي، أليس كذلك؟" "لا، لدي أخت أخرى،" قال كولتون. "رأيتها. في الجنة." ثم بدأ في البكاء مرة أخرى. "أفتقدها كثيرًا." بينما كان علي يروي هذا الجزء من القصة لسونيا، امتلأت عيناها بالدموع الطازجة. "لم أكن أعرف ماذا أقول، سيدتي بوربو. لقد كان مستاءً للغاية. لذلك سألته متى رأى هذه الأخت الأخرى." أخبر كولتون علي، "عندما كنت صغيرًا، أجريت عملية جراحية وصعدت إلى الجنة ورأيت أختي." ثم، أخبر علي سونيا، بدأ كولتون في البكاء مرة أخرى، ولكن بصوت أعلى. قال: "لا أفهم لماذا ماتت أختي. لا أعرف لماذا هي في الجنة وليست هنا." جلست علي على السرير بجانب كولتون، كما قالت، "في حالة صدمة." لم يكن هذا الوضع مدرجًا في قائمة مجالسة الأطفال "في حالات الطوارئ" المعتادة، كما في: (١) من تتصل به في حالة نشوب حريق؛ (٢) من تتصل به في حالة المرض؛ (٣) من تتصل به في حالة إبلاغ الطفل عن تجربة خارقة للطبيعة. كانت علي تعلم أن كولتون كان مريضًا للغاية قبل عامين وأنه قضى بعض الوقت في المستشفى. لكنها لم تكن تعلم بما حدث في غرفة العمليات. الآن لم يكن لديها أي فكرة عما يجب أن تقوله، حتى عندما تخلص كولتون من غطائه وزحف إلى حجرها. لذلك بينما كان يبكي، بكت معه. قال مرة أخرى وهو يشم ويضع رأسه على كتف علي: "أفتقد أختي"."ششش... لا بأس يا كولتون"، قالت علي. "هناك سبب لكل شيء". وظلوا على هذا النحو، حيث كانت علي تهز كولتون حتى بكى حتى نام بين ذراعيها. أنهت علي قصتها، وعانقتها سونيا. لاحقًا، أخبرتنا علي أنها لم تستطع التوقف عن التفكير طوال الأسبوعين التاليين فيما أخبرها به كولتون، وكيف أكدت سونيا أنه قبل جراحته، لم يكن كولتون يعرف شيئًا عن إجهاض سونيا. نشأت علي

في منزل مسيحي ولكن كانت لديها نفس الشكوك التي تراودنا: على سبيل المثال، كيف نعرف أن أي دين يختلف عن أي دين آخر؟ لكن علي قالت إن قصة كولتون عن أخته عززت إيمانها المسيحي. أخبرتنا "سماعه يصف وجه الفتاة... لم يكن شيئًا يمكن لصبي في السادسة من عمره أن يخترعه". "الآن، كلما راودتني الشكوك، أتخيل وجه كولتون، والدموع تنهمر على خديه، وهو يخبرني كم افتقد أخته." خمسة وعشرون سيفًا من الملائكة من وجهة نظر طفل، ربما كان أفضل شيء حدث في عام ٢٠٠٥ هو إصدار فيلم الأسد والساحرة وخزانة الملابس. خلال موسم عيد الميلاد، أخذنا الأطفال لمشاهدة الفيلم على الشاشة الكبيرة. كنت أنا وسونيا متحمسين لمشاهدة أول دراما عالية الجودة لسلسلة سجلات نارنيا لسي إس لويس، وهي كتب استمتعنا بها كلانا عندما كنا أطفالًا. كان كولتون أكثر حماسًا لفيلم يظهر فيه الأخيار يقاتلون الأشرار بالسيوف. في أوائل عام ٢٠٠٦، استأجرنا قرص DVD واستقرنا في غرفة المعيشة لقضاء ليلة فيلم عائلية. بدلاً من الجلوس على الأثاث، جلسنا جميعًا على السجادة، أنا وسونيا وكاسي متكئين على الأريكة. ركع كولتون وكولبي أمامنا، يشجعان أصلان، الأسد المحارب، وأطفال بيفينسي: لوسي، وإدموند، وبيتر، وسوزان. حتى أن رائحة المنزل كانت تفوح كرائحة المسرح، مع أطباق فشار الفصل الثاني بالزبدة، ساخنًا من الميكروويف، موضوعًا على الأرض في متناول اليد. إن لم تشاهدوا فيلم "الأسد، الساحرة، وخزانة الملابس"، فإن أحداثه تدور خلال الحرب العالمية الثانية عندما يتم ترحيل أطفال بيفينسي من لندن إلى منزل أستاذ غريب الأطوار. ينتاب لوسي، وإدموند، وبيتر، وسوزان الملل حتى الموت، إلى أن تعثر لوسي على خزانة ملابس مسحورة تقود إلى مملكة سحرية تُدعى نارنيا. في نارنيا، لا تستطيع جميع الحيوانات التحدث فحسب، بل تسكن المكان أيضًا مخلوقات أخرى، مثل الأقزام، والعفاريت، والقنطور. يحكم الأرض الأسد أصلان، وهو ملك طيب وحكيم، لكن عدوه اللدود، الساحرة البيضاء، ألقت تعويذة على نارنيا بحيث

يكون الشتاء دائمًا، ولكن ليس عيد الميلاد أبدًا. بالعودة إلى العالم الحقيقي، فإن عائلة بيفينسي مجرد أطفال، ولكن في نارنيا، هم أمراء وأميرات يصبحون أيضًا محاربين يقاتلون إلى جانب أصلان. في تلك الليلة، بينما كنا نشاهد مشهد المعركة الخيالي/العصور الوسطى الأخير، كان كولتون، الذي كان يبلغ من العمر ست سنوات آنذاك، منغمسًا حقًا في الأمر حيث أسقطت المخلوقات المجنحة الصخور من السماء واشتبك أطفال بيفينسي الذين يرتدون ملابس المعركة بالسيوف مع جيش الساحرة البيضاء الشرير. أثناء القتال، ضحى أصلان بنفسه لإنقاذ إدموند. ولكن لاحقًا، عندما عاد إلى الحياة وقتل الساحرة البيضاء، قفز كولتون على قدميه ولوح بقبضته. إنه يحب ذلك عندما ينتصر الأخيار. بينما ظهرت شارة النهاية على شاشة التلفزيون وكولبي يلتقط بقايا الفشار، قالت سونيا لكولتون بلا مبالاة: "حسنًا، أعتقد أن هذا شيء واحد لم يعجبك في الجنة – لا سيوف هناك." اختفت حماسة كولتون المذهولة بسرعة كما لو أن يدًا خفية قد مسحت ابتسامته بممحاة. رفع نفسه إلى كامل طوله ونظر إلى سونيا، التي كانت لا تزال جالسة على الأرض. "هناك الكثير من السيوف في الجنة!" قال. فوجئت سونيا بشدة كلامه، فألقت علي نظرة جانبية، ثم سحبت رأسها للخلف وابتسمت لكولتون. "همم ... حسنًا. لماذا يحتاجون إلى سيوف في الجنة؟" قال كولتون، وهو يكاد يوبخ: "أمي، الشيطان ليس في الجحيم بعد. الملائكة تحمل السيوف حتى يتمكنوا من إبعاد الشيطان عن الجنة!" مرة أخرى، خطرت لي آية من الكتاب المقدس، هذه المرة من إنجيل لوقا حيث قال يسوع لتلاميذه: "رأيت الشيطان ساقطًا كالبرق من السماء".١ وتذكرت فقرة من سفر دانيال، حيث زار ملاك دانيال استجابةً لدعوته، لكنه يقول إنه تأخر واحدًا وعشرين يومًا لأنه كان منخرطًا في معركة مع "ملك فارس".٢ يفهم اللاهوتيون هذا عادةً على أنه نوع من المعركة الروحية، حيث يقاتل جبرائيل قوى الظلام. لكن كيف عرف طفل في السادسة من عمره ذلك؟ نعم، كان كولتون قد أمضى عامين آخرين في مدرسة الأحد

بحلول ذلك الوقت، لكنني كنت أعرف يقينًا أن منهجنا الدراسي لا يتضمن دروسًا عن ترتيبات حياة الشيطان. وبينما كانت هذه الأفكار تخطر ببالي، أدركت أن سونيا لم تكن تدري ماذا تقول لكولتون، الذي كان لا يزال عابسًا. ذكّرني وجهه بانزعاجه عندما اقترحت أن السماء قد أظلمت. قررت أن أخفف من حدة الموقف. قلت: "مرحبًا يا كولتون، أراهن أنك سألت إن كان بإمكانك الحصول على سيف، أليس كذلك؟" عندها، تحوّل عبوس كولتون إلى عبوسٍ مُحبط، وانحنى كتفاه نحو الأرض. "أجل، رأيتُ. لكن يسوع لم يسمح لي بواحدة. قال إنني سأكون خطيرة للغاية." ضحكتُ قليلاً، متسائلاً إن كان يسوع يقصد أن كولتون سيُشكّل خطراً على نفسه أو على الآخرين. في جميع نقاشاتنا عن الجنة، لم يذكر كولتون الشيطان قط، ولم يُفكّر أنا ولا سونيا في سؤاله. عندما تُفكّر في "جنة"، فإنك تُفكّر في جداول من الكريستال وشوارع من ذهب، وليس ملائكة وشياطين تُتقاطع سيوفهم. لكن الآن وقد أثار الموضوع، قررتُ أن أضغط قليلاً. "مهلاً يا كولتون،" قلتُ. "هل رأيت الشيطان؟" "أجل، رأيتُ،" قال بجدية. "كيف كان يبدو؟" عندها، تصلب جسد كولتون، وعبس، وضاقت عيناه حتى أصبحتا مُحدقتين. توقف عن الكلام. أعني، لقد انغلق تماماً، وانتهى الأمر في تلك الليلة. سألنا كولتون عن الشيطان عدة مرات بعد ذلك، ولكن بعد ذلك استسلمنا لأنه كلما فعلنا ذلك، كان رد فعله مربكًا بعض الشيء: كان الأمر كما لو أنه تحول على الفور من طفل صغير مشمس إلى شخص يركض إلى غرفة آمنة، ويغلق الباب، ويغلق النوافذ، ويسحب الستائر. أصبح من الواضح أنه بالإضافة إلى أقواس قزح والخيول والشوارع الذهبية، فقد رأى شيئًا غير سار. ولم يرغب في التحدث عن ذلك. ستة وعشرون الحرب القادمة بعد بضعة أشهر، كان لدي بعض الأعمال في ماكوك، وهي بلدة تبعد حوالي ستين ميلاً عن إمبريال وموقع أقرب وول مارت. بالنسبة للعديد من الأمريكيين، فإن ساعة واحدة هي طريق طويل للغاية للوصول إلى وول مارت، ولكن هنا في الريف، تعتاد على ذلك. لقد أخذت

كولتون معي، ولن أنسى أبدًا المحادثة التي أجريناها في طريق العودة، لأنه بينما تحدث ابننا معي عن الجنة وحتى عن ماضي، لم يلمح أبدًا من قبل إلى أنه يعرف مستقبلي. كنا قد عدنا بالسيارة عبر كولبيرتسون، أول بلدة غرب ماكوك، ومررنا بمقبرة. كولتون، الذي خرج الآن من مقعد السيارة، نظر من نافذة الراكب بينما مرت صفوف شواهد القبور. "أبي، أين دُفن جدي؟" سأل. "حسنًا، جثته مدفونة في مقبرة في يوليسيس، كانساس، حيث تعيش الجدة كاي"، قلت. "في المرة القادمة التي نذهب فيها إلى هناك، يمكنني أن آخذك لترى أين هي إذا أردت. لكنك تعلم أن هذا ليس مكان جدي." استمر كولتون في النظر من النافذة. "أعلم. إنه في الجنة. لديه جسد جديد. قال لي يسوع إن لم تذهب إلى الجنة، فلن تحصل على جسد جديد." انتظر، فكرت. معلومات جديدة تنتظرني. "حقا؟" كان كل ما قلته. "نعم"، قال، ثم أضاف، "أبي، هل كنت تعلم أنه ستكون هناك حرب؟" "ماذا تقصد؟" هل ما زلنا نتحدث عن الجنة؟ لم أكن متأكدًا. "ستكون هناك حرب، وستدمر هذا العالم. سيقاتل يسوع والملائكة والأخيار الشيطان والوحوش والأشرار. لقد رأيتها." فكرت في المعركة الموصوفة في سفر الرؤيا، فازداد نبض قلبي. "كيف رأيت ذلك؟" "في الجنة، كان على النساء والأطفال أن يقفوا جانبًا ويشاهدوا. لذلك وقفت جانبًا وشاهدت." الغريب أن صوته كان مرحًا نوعًا ما، كما لو كان يتحدث عن فيلم جيد شاهده. "لكن الرجال، كان عليهم أن يقاتلوا. وأبي، لقد شاهدتك. عليك أن تقاتل أيضًا." حاول سماع ذلك والبقاء على الطريق. فجأة، بدا صوت أزيز الإطارات على الأسفلت مرتفعًا بشكل غير طبيعي، كأنه أنين عالٍ. وها هي مسألة "زمن الجنة" هذه تعود من جديد. قبل ذلك، تحدث كولتون عن ماضي، ورأى "أمواتًا" في الحاضر. كان يقول إنه في خضم كل ذلك، أُريَ المستقبل أيضًا. تساءلتُ إن كانت هذه المفاهيم – الماضي والحاضر والمستقبل – خاصة بالأرض فقط. ربما، في السماء، الزمن ليس خطيًا. لكن كان لديّ همٌّ آخر أكثر إلحاحًا. "قلتَ إننا نحارب وحوشًا؟" "أجل،" قال

كولتون بسعادة. "مثل التنانين وما شابه." لستُ من أولئك الوعاظ الذين يُركّزون على نبوءات نهاية الزمان، لكنني تذكرتُ الآن مقطعًا واضحًا للغاية من سفر الرؤيا: في تلك الأيام سيطلب الناس الموت ولن يجدوه. سيرغبون في الموت، فيهرب منهم الموت. كان شكل الجراد كخيول مُهيأة للقتال. على رؤوسها أكاليل من ذهب، ووجوهها كوجوه البشر. شعرها كشعر النساء، وأسنانها كأنياب الأسود. ودروعها كدروع من حديد، وصوت أجنحتها كصوت مركبات خيل كثيرة تركض في المعركة. كان لديهم ذيول مثل العقارب، وكانت هناك لسعات في ذيولهم. كانت قوتهم إيذاء الرجال لمدة خمسة أشهر.١ لقرون، استخرج اللاهوتيون هذه الأنواع من المقاطع للرمزية: ربما كان مزيج كل تلك الأجزاء المختلفة من الجسم يرمز إلى نوع من البلاد، أو كان كل منها يرمز إلى مملكة من نوع ما. اقترح آخرون أن "الدروع الحديدية" تشير إلى نوع من الآلة العسكرية الحديثة التي لم يكن لدى يوحنا أي مرجع لوصفها. ولكن ربما حاولنا نحن الكبار المتطورون جعل الأمور أكثر تعقيدًا مما هي عليه. ربما نحن متعلمون جدًا، و"أذكياء" جدًا، لتسمية هذه المخلوقات بلغة طفل بسيطة: وحوش. "همم، كولتون ... بماذا أقاتل الوحوش؟" كنت آمل في دبابة، ربما، أو قاذفة صواريخ ... لم أكن أعرف، ولكن شيئًا يمكنني استخدامه للقتال من مسافة بعيدة. نظر إلي كولتون وابتسم. "إما أن تحصل على سيف أو قوس وسهم، لكنني لا أتذكر أيهما." سقط وجهي. "هل تقصد أنني يجب أن أقاتل الوحوش بالسيف؟" "نعم يا أبي، ولكن لا بأس،" قال مطمئنًا. "يسوع ينتصر. إنه يلقي الشيطان في الجحيم. لقد رأيت ذلك." ورأيت ملاكا نازلا من السماء، ومعه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة في يده. وأمسك التنين، الحية القديمة، الذي هو إبليس والشيطان، وقيده ألف سنة، وألقاه في الهاوية وأغلق عليه وختم عليه، لكي لا يضل الأمم في ما بعد، حتى تتم الألف سنة: وبعد ذلك لا بد أن يُحل زمانا قليلا. . . وعندما تنقضي الألف سنة، يُحل الشيطان من سجنه، ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض، جوج

وماجوج، ليجمعهم للقتال: الذين عددهم كرمل البحر. وصعدوا على عرض الأرض، وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة، ونزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم. وألقي إبليس الذي أضلهم في بحيرة النار والكبريت، حيث الوحش والنبي الكذاب، وسيُعذبون نهارًا وليلاً إلى أبد الآبدين.٢ كان كولتون يصف معركة هرمجدون ويقول إنني سأقاتل فيها. وللمرة الألف في غضون عامين تقريبًا منذ أن أخبرنا كولتون لأول مرة أن الملائكة غنوا له في المستشفى، كان رأسي يدور. واصلت القيادة، بلا كلام، لعدة أميال وأنا أركل هذه الصور الجديدة في رأسي. كما أذهلني عدم اكتراث كولتون. كان موقفه أشبه بـ: "ما المشكلة يا أبي؟ لقد أخبرتك: لقد قفزت إلى الفصل الأخير، وينتصر الأخيار". كان هذا بعض العزاء على الأقل. كنا نعبر للتو مشارف إمبريال عندما قررت أن أتبنى موقفه تجاه الأمر برمته. قلت: "حسنًا يا بني، أعتقد أنه إذا أرادني يسوع أن أقاتل، فسأقاتل". أدار كولتون وجهه بعيدًا عن النافذة، ورأيت أن النظرة على وجهه قد تحولت إلى جدية. قال: "نعم، أعرف يا أبي". "ستفعل". سبعة وعشرون يومًا ما سنرى أتذكر المرة الأولى التي تحدثنا فيها علنًا عن تجربة كولتون. كان ذلك خلال الخدمة المسائية في ٢٨ يناير ٢٠٠٧، في كنيسة ماونتن فيو ويسليان في كولورادو سبرينغز. خلال الخدمة الصباحية، ألقيت العظة، وهي رسالة عن توما، التلميذ الذي كان غاضبًا لأن التلاميذ الآخرين، وحتى مريم المجدلية، قد رأوا المسيح القائم بينما لم يفعل هو. تُروى القصة في إنجيل يوحنا: أما توما (المدعو ديديموس)، أحد الاثني عشر، فلم يكن مع التلاميذ عندما جاء يسوع. فقال له التلاميذ الآخرون: "لقد رأينا الرب!" لكنه قال لهم: "إن لم أرَ آثار المسامير في يديه، وأضع إصبعي في مكان المسامير، وأضع يدي في جنبه، فلن أصدق". وبعد أسبوع، كان تلاميذه في البيت مرة أخرى، وكان توما معهم. ورغم أن الأبواب كانت مغلقة، جاء يسوع ووقف في وسطهم وقال: "السلام عليكم!" ثم قال لتوما: "هات إصبعك إلى هنا؛ انظر يدي. هات يدك وضعها

في جنبي. لا تشك وآمن". قال له توما: "ربي وإلهي!" ثم قال له يسوع: "لأنك رأيتني، آمنت. طوبى للذين لم يروا ولكنهم آمنوا".١ ومن هذه القصة يأتي المصطلح المألوف "توما الشكاك"، أي الشخص الذي يرفض تصديق شيء ما دون دليل مادي أو تجربة شخصية مباشرة. وبعبارة أخرى، شخص بلا إيمان. في عظتي ذلك الصباح، تحدثتُ عن غضبي وضعف إيماني، وعن اللحظات العصيبة التي قضيتها في تلك الغرفة الصغيرة بالمستشفى، غاضبةً على الله، وعن عودة الله إليّ من خلال ابني قائلاً: "ها أنا ذا". خرج من حضروا القداس ذلك الصباح وأخبروا أصدقائهم أن واعظًا وزوجته، اللذين كان ابنهما في الجنة، سيحكيان المزيد من القصة خلال القداس المسائي. في تلك الليلة، كانت الكنيسة مكتظة. جلس كولتون، الذي كان في السابعة من عمره آنذاك، في المقعد الثاني مع أخيه وأخته، بينما رويت أنا وسونيا قصة تجربته بأفضل ما يمكن في غضون خمس وأربعين دقيقة. تحدثنا عن جدي، وعن لقاء كولتون بأخته التي لم تولد بعد؛ ثم أجبنا على الأسئلة لمدة خمس وأربعين دقيقة أخرى. بعد حوالي أسبوع من عودتنا إلى إمبريال، كنتُ في مكتبي في الطابق السفلي من المنزل، أتحقق من بريدي الإلكتروني، عندما رأيتُ رسالة من العائلة التي أقمت أنا وسونيا والأطفال في منزلها خلال زيارتنا لجامعة ماونتن فيو ويسليان. كان لدى مضيفينا أصدقاء كانوا في الكنيسة مساء حديثنا وسمعوا أوصاف الجنة التي شاركها كولتون. من خلال مضيفينا، أرسل لنا هؤلاء الأصدقاء بريدًا إلكترونيًا حول تقرير بثته شبكة CNN قبل شهرين فقط، في ديسمبر ٢٠٠٦. كانت القصة تدور حول فتاة أمريكية ليتوانية شابة تدعى أكيان كراماريك، كانت تعيش في ولاية أيداهو. كانت أكيان (تُنطق AHNA–KEE–AH) تبلغ من العمر ١٢ عامًا وقت عرض مقطع CNN، وقد بدأت في رؤية "رؤى" للجنة في سن الرابعة، كما جاء في البريد الإلكتروني. بدت أوصافها للجنة مشابهة بشكل ملحوظ لأوصاف كولتون، وظن أصدقاء مضيفنا أننا سنكون مهتمين بالتقرير. جلست أمام الكمبيوتر، ونقرت على

الرابط المؤدي إلى المقطع الذي مدته ثلاث دقائق والذي بدأ بموسيقى خلفية، وهي مقطوعة كلاسيكية بطيئة على التشيلو. قال صوت رجل معلق: "فنانة علمت نفسها بنفسها تقول إن إلهامها يأتي "من الأعلى". "لوحات روحية وعاطفية... من إبداع طفل موهوب يبلغ من العمر اثني عشر عامًا."٢ وكان الطفل موهوبًا على حق.بينما كان التشيلو يعزف، أظهر الفيديو لوحة تلو الأخرى لشخصيات ذات مظهر ملائكي، ومناظر طبيعية خلابة، ومنظر جانبي لرجل كان من المفترض بوضوح أن يكون المسيح. ثم لقطة لفتاة صغيرة تملأ قماشًا بالألوان. لكن هذه لم تبدو وكأنها لوحات لفتاة صغيرة، أو حتى لشخص بالغ يتعلم رسم البورتريهات. كان هذا عملًا فنيًا متطورًا يمكن تعليقه في أي معرض. بدأت أكيان الرسم في سن السادسة، كما قال الصوت، ولكن في سن الرابعة "بدأت تصف لوالدتها زياراتها إلى الجنة". ثم تحدثت أكيان لأول مرة: "كانت جميع الألوان خارج هذا العالم"، قالت، واصفة الجنة. "هناك مئات الملايين من الألوان الأخرى التي لا نعرفها بعد". وتابع الراوي قائلاً إن والدة أكيان كانت ملحدة وأن مفهوم الله لم يُناقش أبدًا في منزلهم. لم تكن الأسرة تشاهد التلفاز، ولم تلتحق أكيان بأي نوع من رياض الأطفال. وبينما بدأت الفتاة الصغيرة تروي قصص الجنة، ثم تصورها في رسومات، ثم لوحات، أدركت والدتها أنها لا يمكن أن تكون سمعت هذه الأشياء من شخص آخر. ببطء، بدأت والدتها تتقبل أن رؤى أكيان حقيقية، وبالتالي، لا بد أن يكون الله حقيقيًا. قالت السيدة كراماريك: "أعتقد أن الله يعرف أين يضع أطفالنا، في كل عائلة". تذكرت ما قاله يسوع لتلاميذه ذات يوم عندما كانوا يحاولون منع بعض الأطفال من "إزعاجه": "دعوا الأطفال الصغار يأتون إليّ".٣ دونت ملاحظة ذهنية للخطب المستقبلية: أظهرت قصة أكيان أن الله يمكن أن يصل إلى أي شخص، في أي مكان، في أي عمر – حتى فتاة في سن ما قبل المدرسة في منزل لم يُذكر اسمه فيه أبدًا. لكن لم يكن هذا هو الدرس الذي قدمه الله لي في ذلك اليوم. بينما كنت أشاهد مونتاجًا لرسومات أكيان الفنية

على شاشة حاسوبي، قال الراوي: "تصف أكيان الله بنفس الوضوح الذي ترسمه به". في تلك اللحظة، ملأت الشاشة صورة مقربة لوجه المسيح. كان نفس الشبه الذي رأيته من قبل، ولكن هذه المرة كان يسوع ينظر مباشرة "إلى الكاميرا"، إن جاز التعبير. قالت أكيان: "إنه طاهر. إنه رجولي للغاية، قوي وكبير حقًا. وعيناه جميلتان للغاية". يا إلهي! لقد مرت ما يقرب من ثلاث سنوات على جراحة كولتون، وحوالي عامين ونصف منذ أن وصف لي يسوع لأول مرة في تلك الليلة في القبو. لقد أذهلني التشابه بين ذكرياته وذكريات أكيان: كل ألوان السماء... وخاصة وصفهما لعيني يسوع. قال كولتون: "وعينيه. يا أبي، عيناه جميلتان للغاية!" يا لها من تفصيلة مثيرة للاهتمام لطفلين في الرابعة من العمر للتركيز عليها. بعد انتهاء تقرير سي إن إن، أعدته إلى تلك الصورة الثانية ليسوع، وهي صورة واقعية بشكل مذهل رسمتها أكيان عندما كانت في الثامنة من عمرها. كانت العيون مذهلة بالفعل – زرقاء صافية مخضرة تحت حاجبين داكنين جريئين – مع نصف الوجه في الظل. ولاحظت أن شعره كان أقصر مما يرسمه معظم الفنانين. كانت اللحية مختلفة أيضًا، أكثر كثافة بطريقة ما، أكثر ... لا أعرف ... غير رسمية. ومع ذلك، من بين عشرات صور يسوع التي رأيناها منذ عام ٢٠٠٣، لم ير كولتون أبدًا صورة واحدة يعتقد أنها صحيحة. حسنًا، فكرت، قد يكون من الأفضل أن أرى ما يفكر فيه بشأن محاولة أكيان. نهضت من المكتب وصرخت على الدرج لكولتون لينزل إلى الطابق السفلي. جاء الرد "قادم!". قفز كولتون على الدرج ودخل المكتب. "نعم يا أبي؟" قلت وأنا أومئ نحو شاشة الكمبيوتر "ألق نظرة على هذا". "ما الخطأ في هذا؟" التفت إلى الشاشة ولم يقل شيئًا للحظة طويلة. "كولتون؟" لكنه وقف هناك فقط يدرس. لم أستطع قراءة تعبيره. "ما خطب هذه اللوحة يا كولتون؟" قلتُ مجددًا. ساد الصمت. نكزته في ذراعه. "كولتون؟" التفت ابني ذو السبع سنوات لينظر إليّ وقال: "أبي، هذه اللوحة صحيحة". بمعرفتنا لعدد الصور التي رفضها كولتون، شعرتُ أنا وسونيا أخيرًا

أننا رأينا في صورة أكيان وجه يسوع. أو على الأقل صورةً مذهلة. كنا على يقين تام من أنه لا توجد لوحةٌ يمكنها أن تُجسّد عظمة شخص المسيح القائم. لكن بعد ثلاث سنوات من دراسة صور يسوع، أدركنا أن رسم أكيان لم يكن مجرد انحراف عن اللوحات التقليدية ليسوع؛ بل كان أيضًا الوحيد الذي أوقف كولتون عن مساره. وجدتُ أنا وسونيا أنه من المثير للاهتمام أنه عندما قال كولتون: "هذه اللوحة صحيحة"، لم يكن يعلم أن اللوحة، المسماة "أمير السلام: القيامة"، رسمها طفلٌ آخر – طفلٌ ادّعى هو الآخر زيارة الجنة. لم يكن تكوين فكرة عن شكل يسوع الشيء الوحيد المثير للاهتمام الذي نتج عن زيارتنا لجامعة ماونتن فيو ويسليان. كانت أيضًا المرة الأولى التي أدركنا فيها كيف سيؤثر لقاء كولتون بأخته في السماء على الناس على الأرض. بعد القداس في ذلك المساء من يناير ٢٠٠٧، اقتربت مني أم شابة وعيناها تغرورقان بالدموع. قالت: "لقد فقدت طفلًا. لقد وُلد ميتًا. هل سيعلم ابنك إن كان طفلي في الجنة؟" ارتجف صوت المرأة، ورأيتها ترتجف. فكرت: يا رب، من أنا لأجيب على هذا السؤال؟ قال كولتون إن هناك الكثير والكثير من الأطفال في الجنة. لكن لم يكن بإمكاني أن أسأله إن كان قد رأى طفل هذه المرأة تحديدًا. ومع ذلك، لم أُرد أن أتركها غارقة في حزنها. في تلك اللحظة، جاء طفل صغير في السادسة أو السابعة من عمره ووقف بجانب المرأة، متشبثًا بتنورتها. وجاءني الجواب: "سيدتي، هل تؤمنين أن الله يحبني؟" قلت. رمشت لتمسح دموعها. "حسنًا... نعم." "هل تعتقدين أنه يحبك بقدر ما يحبني؟" "نعم. نعم، أعتقد." ثم أومأت برأسي إلى ابنها الصغير بجانبها. "هل تعتقدين أن الله يحب ابنك هنا بقدر ما يحب كولتون؟" توقفت لمعالجة هذا السؤال، ثم أجابت، "نعم، بالطبع." "حسنًا، إذا كنت تعتقدين أن الله يحبك بقدر ما يحبني، وتعتقدين أنه يحب ابنك الحي بقدر ما يحب ابني الحي، ألا تعتقدين أنه يحب طفلك الذي لم يولد بعد بقدر ما يحب طفلي؟" فجأة، توقفت المرأة عن الارتعاش وابتسمت. "لم أفكر في الأمر بهذه الطريقة أبدًا." تنفست صلاة

شكر للروح القدس، الذي "أسقط القوة" بوضوح، مما أعطاني إجابة لهذه المرأة الحزينة، لأنني أستطيع أن أخبرك الآن، أنني لست ذكية بما يكفي لأفكر في الأمر بنفسي. لن تكون هذه هي المرة الأخيرة التي تضعني فيها قصة كولتون أنا أو سونيا في موقف محاولة الإجابة على بعض الأسئلة الضخمة. ولكن في بعض الأحيان، يكون لدى الأشخاص الذين مروا بالتجربة معنا بعض الإجابات لأنفسهم. كما ذكرت سابقًا، قبل خروجنا من المستشفى في نورث بلات، كانت الممرضات يدخلن ويخرجن من غرفة كولتون. في السابق، عندما كانت الممرضات يزورن غرفتنا، كن يتحققن من العلامات الحيوية لكولتون ويسجلن أشياء على المخططات. الآن لم يأتين بأي عمل طبي على الإطلاق – فقط اختلسن النظرات إلى هذا الصغير الذي كان، قبل يومين فقط، يتجاوز قدراتهن الطبية ولكنه الآن في سريره، يتحدث ويلعب بأسده المحشو الجديد. خلال ذلك الوقت، أخذتني إحدى الممرضات جانبًا. "سيد بوربو، هل يمكنني التحدث معك للحظة؟" "بالتأكيد،" قلت. أشارت إلى غرفة عبر الردهة من غرفة كولتون. "دعنا ندخل هنا." متسائلاً عما يحدث، تبعتها إلى ما بدا أنه غرفة استراحة صغيرة. أغلقت الباب خلفنا والتفتت إليّ. تألقت عيناها بريقًا عميقًا، كما لو أن شيئًا جديدًا قد ازدهر في داخلها. قالت: "سيد بوربو، لقد عملت ممرضة هنا لسنوات عديدة. ليس من المفترض أن أخبرك بهذا، ولكن طُلب منا ألا نشجع عائلتك. لم يعتقدوا أن كولتون سينجو. وعندما يخبروننا أن الناس لن ينجووا، فإنهم لا يفعلون." بدت وكأنها ترددت للحظة؛ ثم تابعت حديثها. "لكن رؤية ابنك كما هو اليوم، هذه معجزة. لا بد من وجود إله، لأنها معجزة." شكرتها على مشاركتي، ثم قلت: "أريدك أن تعلم أننا نؤمن أن هذا كان الله. اجتمعت كنيستنا وصلّت من أجل كولتون الليلة الماضية، ونؤمن أن الله استجاب لدعائنا." نظرت الممرضة إلى الأرض للحظة، ثم عادت إليّ وابتسمت. "حسنًا، أردت فقط أن أخبرك بذلك." ثم غادرت. أعتقد أنها ربما لم ترغب في سماع عظة من قس. لكن الحقيقة هي أنها لم

تكن بحاجة إلى عظة – لقد رأت واحدة بالفعل. بالحديث عن تجربة كولتون في الجنة، قال لنا الناس: "عائلتكم مباركة جدًا!" بمعنى أننا ألقينا نظرة خاطفة من خلال الحجاب الذي يفصل الأرض عن الأبدية، فهم محقون. لكنني أفكر أيضًا، مبارك؟ لقد شاهدنا ابننا يكاد يموت. من الممتع التحدث عن الجنة، عن عرش الله ويسوع وأبي وابنتنا التي ظننا أننا فقدناها لكننا سنلتقي بها مرة أخرى يومًا ما. لكن ليس من الممتع التحدث عن كيف وصلنا إلى هناك. إن تذكر تلك الأيام المرعبة عندما شاهدنا كولتون متمسكًا بالحياة لا يزال يجلب الدموع لي ولسونيا. حتى يومنا هذا، فإن قصة زيارته المعجزة للسماء وقصة فقدان ابننا تقريبًا هما نفس الحدث بالنسبة لنا. عندما كنت طفلة، كنت أتساءل دائمًا عن سبب أهمية الصليب، صلب يسوع، لهذه الدرجة. لو كان الله الآب يعلم أنه سيُقيم ابنه من بين الأموات، فكيف كان ذلك تضحية؟ لكنني الآن أفهم لماذا لا ينظر الله إلى عيد الفصح على أنه مجرد نهاية المطاف، أو مجرد قبر فارغ. أفهم تمامًا. كنت سأفعل أي شيء، أي شيء، لوقف معاناة كولتون، حتى لو تبادلت الأدوار معه. يقول الكتاب المقدس إنه عندما أسلم يسوع روحه، وهو مترنح هناك، بلا حياة على الصليب الروماني، أدار الله الآب ظهره. أنا مقتنع أنه فعل ذلك لأنه لو استمر في المشاهدة، لما استطاع إتمام الأمر. أحيانًا يسأل الناس: "لماذا يا كولتون؟ لماذا تعتقد أن هذا حدث لعائلتك؟" لقد اضطررتُ في أكثر من مناسبة أن أقول: "مهلاً، نحن مجرد أناس عاديين من بلدةٍ وحيدةٍ في نبراسكا. أفضل ما يمكننا فعله هو أن نخبركم بما حدث لنا، ونأمل أن تجدوه مُشجعًا، مثل الممرضة في نورث بلات التي ربما احتاجت لرؤية معجزةٍ لتؤمن بوجود شخصٍ أعظم منا. أو المرأة في ماونتن فيو ويسليان التي احتاجت إلى بصيص أملٍ لمساعدتها على التغلب على حزنها. أو سونيا، التي احتاجت إلى مرهمٍ لجروحها الأمومية. أو مثل والدتي، كاي، التي بعد ثمانيةٍ وعشرين عامًا من التساؤل، عرفت أخيرًا أنها ستلتقي بوالدها يومًا ما." عندما تنظر إلى سفر الرؤيا

وغيره من التعاليم الكتابية عن الجنة، تجدها مُجزأة نوعًا ما. بصفتي قسًا، كنتُ دائمًا واعيًا جدًا لما أشاركه عن الجنة من المنبر، وما زلتُ كذلك. أُعلّم ما أجده في الكتاب المقدس. لأن لدي الكثير من الأسئلة التي لم يكن لدي إجابات لها، لم أقضِ الكثير من الوقت في التفكير في الجنة على المستوى الشخصي. لكنني أفعل الآن. أنا وسونيا نفعل ذلك، وقد سمعنا من الكثير من الناس أن قصة كولتون تجعلهم يفكرون أكثر في الجنة أيضًا. ما زلنا لا نملك جميع الإجابات – ولا حتى قريبة منها. لكن الآن لدينا صورة في أذهاننا، صورة يمكننا أن ننظر إليها ونقول، "واو". أحب الطريقة التي تلخص بها أمي الأمر: "منذ أن حدث هذا"، قالت لي، "أفكر أكثر في كيف قد تكون الحياة حقًا في الجنة. لقد تقبلت فكرة الجنة من قبل، لكنني الآن أتخيلها. من قبل، كنت قد سمعت، لكنني الآن أعرف أنني سأراها يومًا ما." خاتمة لقد مر ما يزيد قليلاً عن سبع سنوات منذ أن تحولت رحلة عائلية عادية إلى رحلة سماوية غيرت حياتنا جميعًا. سألنا الناس كثيرًا عن سبب انتظارنا طويلاً لرواية قصة كولتون. حسنًا، هناك سببان. أولاً، رغم مرور سبع سنوات على محنة المستشفى، إلا أن هروبنا الطارئ من غريلي إلى الطبيب في إمبريال لم يكن سوى بداية القصة. وكما قرأتم في هذه الصفحات، فقد تلقينا تفاصيل رحلة كولتون الاستثنائية على مراحل على مدى أشهر وسنوات. لذا، رغم مرور بعض الوقت على مواجهته للموت، استغرقت بقية القصة بعض الوقت لتتكشف. ثم، عندما بدأنا بمشاركة ما حدث مع الآخرين، قال لنا كثيرون: "يجب أن تكتبوا كتابًا!"، فرددت أنا وسونيا: "نحن؟ نكتب كتابًا؟ أجل، صحيح". أولًا، لم نكن نستوعب فكرة أن أي شخص سيرغب في القراءة عنا. ثم كانت هناك مسألة كتابة كتاب بحد ذاتها. بدا لنا ذلك أقل شأنًا من مهمة ضخمة كرحلة إلى القمر. صحيح أنني حررت صحيفة جامعتي، وكتبت سونجا كثيرًا في سعيها للحصول على درجة الماجستير. لكن كان لدينا كلانا عملان نحبهما، وأطفال صغار نربيهم، وكنيسة نرعاها. ويجب أن تناموا قليلاً. لم نفكر في إمكانية

تأليف كتاب إلا بعد أن عرض فيل مكالوم، صديقنا القس، تقديم بعض التعريفات وجمع الناشرين المناسبين حولنا. حتى ذلك كان مسألة توقيت. كما ترى، كآباء كنا قلقين بشأن كولتون. يحب الكثير من الناس قصته بسبب كل التفاصيل عن الجنة. نحن نحب ذلك أيضًا. ولكن بعد ذلك، هناك ذلك الجزء من المستشفى حيث مررنا جميعًا بالرعب والبؤس لما بدا وكأنه أبدية. كان ذلك لا يزال مجالًا حساسًا ولم نكن متأكدين من مدى تأثير إعادة عيش كل ذلك على كولتون. وأيضًا، كيف سيتعامل مع الاهتمام؟ كنا قلقين بشأن ذلك. وما زلنا قلقين. نحن من بلدات صغيرة ومدارس صغيرة وكنائس صغيرة. "صغير" شيء يعرفه كولتون، ولكن الأضواء؟ لسنا متأكدين تمامًا. ولكن الآن، بالطبع، كُتب الكتاب. قالت لي سونيا ذات يوم ضاحكة: "حسنًا، أعتقد أنه سيتعين علينا كتابة "أن أصبح كاتبًا" في قائمة أمنياتنا حتى نتمكن من شطبها." سألنا الناس أسئلة أخرى أيضًا. الأطفال، على وجه الخصوص، يريدون معرفة ما إذا كان كولتون قد رأى أي حيوانات في الجنة. والجواب هو نعم! إلى جانب حصان يسوع، أخبرنا أنه رأى كلابًا وطيورًا وحتى أسدًا – وكان الأسد ودودًا وليس شرسًا. سأل الكثير من أصدقائنا الكاثوليك ما إذا كان كولتون قد رأى مريم، أم يسوع. والجواب هو نعم أيضًا. لقد رأى مريم راكعة أمام عرش الله وفي أوقات أخرى، واقفة بجانب يسوع. قال كولتون: "ما زالت تحبه كأم". سؤال آخر يطرحه الناس طوال الوقت هو كيف غيرتنا تجربة كولتون. أول شيء ستخبرك به سونيا هو أنها حطمتنا تمامًا. انظر، عادةً ما يكون القساوسة وعائلاتهم أكثر راحة في دور "المساعد"، وليس "المستفيد". لطالما كنا أنا وسونيا من نزور المرضى، ونحضر الطعام، ونرعى أطفال الآخرين، وقت الحاجة. كنا نعتمد على أنفسنا بإصرار – ربما، في الماضي، إلى حد الكبرياء. لكن تلك الفترة الشاقة في المستشفى كسرت كبرياءنا كما ذاب غصن يابس، وعلمتنا كيف نكون متواضعين بما يكفي لقبول المساعدة من الآخرين، جسديًا وعاطفيًا وماليًا. من الجيد أن تكون قويًا وقادرًا على

مباركة الآخرين، نعم. لكننا تعلمنا قيمة أن نكون ضعفاء بما يكفي لندع الآخرين يكونون أقوياء من أجلنا، ولندع الآخرين يباركوننا. اتضح أن ذلك كان نعمة لهم أيضًا. ومن الجوانب الأخرى التي غيرتنا بها قصة كولتون: أصبحنا أكثر جرأة. نعيش في عصر يشكك فيه الناس في وجود الله. كقسيس، كنت دائمًا مرتاحًا للحديث عن إيماني، لكنني الآن، بالإضافة إلى ذلك، أتحدث عما حدث لابني. إنها الحقيقة وأنا أتحدث عنها، دون اعتذار. في هذه الأثناء، هنا في إمبريال، تسير أمور الحياة كما هي الحال بالنسبة للعائلات في جميع أنحاء البلدات الصغيرة في أمريكا. كاسي تبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا وستلتحق بالمدرسة الثانوية في الخريف. كانت ليلة أمس ليلة مميزة بالنسبة لها: فقد اختبرت الانضمام إلى جوقة المدرسة الثانوية. ابننا الأصغر، كولبي، يحقق أيضًا إنجازًا هامًا: سيبدأ روضة الأطفال هذا العام، وهو أمر جيد لأنه بدأ يُزعج معلمة ما قبل المدرسة. أما كولتون، فسيبلغ الحادية عشرة هذا الشهر، وفي سبتمبر سيلتحق بالصف السادس. إنه طفل منتظم في كل شيء. يمارس المصارعة ويلعب البيسبول. يعزف على البيانو والبوق، لكنه ليس متحمسًا جدًا للمدرسة ويقول إن مادته المفضلة هي الاستراحة.لا يزال يتحدث عن الجنة من حين لآخر، لكنه لم يدّع أنه ذهب في أي رحلات أخرى أو أن لديه أي نوع من الاتصال الخاص والمستمر بالخلود. وعلى الرغم من رحلته الخارقة للطبيعة، فإن علاقاته مع أشقائه طبيعية قدر الإمكان. يتبع كولبي كولتون بأسلوب الأخ الصغير، ويتقاتلان حول من سرق مجسمات الحركة الخاصة بشخص ما. أما كاسي، فهي الأخت الكبرى التي عانت طويلاً. وقد تجلى هذا تمامًا عندما كنا نحاول جميعًا التفكير في عنوان جيد لهذا الكتاب. اقترحت الجنة بأربعة. اقترحت سونيا الجنة، وفقًا لكولتون. اقترحت كاسي أنه عاد، لكنه ليس ملاكًا. في النهاية، كان كولتون هو من ابتكر العنوان عن غير قصد. في وقت عيد الميلاد عام ٢٠٠٩، قمنا برحلة عائلية إلى تكساس وكنا نجلس مع محررنا في ستاربكس في دالاس،

ونناقش الكتاب. نظرت عبر الطاولة إلى ابننا الأكبر وقالت، "كولتون، ماذا تريد أن يعرف الناس من قصتك؟" دون تردد، نظر في عينيها وقال، "أريدهم أن يعرفوا أن الجنة حقيقية". التسلسل الزمني للأحداث يوليو ١٩٧٦ – توفي جد تود بوربو، الذي يناديه "بوب" (لورانس إيدلبرت باربر)، في حادث سيارة بين يوليسيس وليبرالي بولاية كانساس. ١٩٨٢ – سمع تود وهو في الثالثة عشرة من عمره وقبل دعوة المسيح للخدمة كواعظ للإنجيل. ٢٩ ديسمبر ١٩٩٠ – تزوج تود وسونيا بوربو. ١٦ أغسطس ١٩٩٦ – ولدت كاسي بوربو، شقيقة كولتون الكبرى. يوليو ١٩٩٧ – قبل القس تود وسونيا بوربو دعوة إلى كنيسة كروسرودز ويسليان في إمبريال بولاية نبراسكا. في ٢٠ يونيو ١٩٩٨، أجهضت سونيا بوربو طفلهما الثاني. كانت حاملاً في شهرين. في ١٩ مايو ١٩٩٩، وُلد كولتون بوربو. في أغسطس ٢٠٠٢، حطم تود ساقه في مباراة كرة لينة مختلطة. في أكتوبر ٢٠٠٢، أُصيب تود بحصوات في الكلى. في نوفمبر ٢٠٠٢، شعر تود بوجود كتلة في صدره شُخِّصت على أنها تضخم. في ٢٧ فبراير ٢٠٠٣، اشتكى كولتون من ألم في المعدة وارتفعت درجة حرارته، وشُخِّصت خطأً على أنها إنفلونزا معوية. في ٢٨ فبراير ٢٠٠٣، انخفضت درجة حرارة كولتون. فرح والداه، ظانّين أن كولتون بخير، بينما في الواقع، كانت هذه علامة على تمزق الزائدة الدودية. في ١ مارس ٢٠٠٣، زارت عائلة بوربو جناح دنفر باترفلاي للاحتفال بتعافي تود. في تلك الليلة، بدأ كولتون يتقيأ بشكل لا يمكن السيطرة عليه. في ٣ مارس ٢٠٠٣، فحص طبيب كولتون في إمبريال، نبراسكا، ونفى إصابته بالتهاب الزائدة الدودية. وفي ٥ مارس ٢٠٠٣، فحص تود وسونيا كولتون شخصيًا في مستشفى إمبريال، نبراسكا، ونقلا ابنهما بالسيارة إلى المركز الطبي الإقليمي في جريت بلينز في نورث بلات، نبراسكا. وكان الدكتور تيموثي أوهوليران يستعد للجراحة. وفي ٥ مارس ٢٠٠٣، خضع كولتون لأول عملية جراحية له، وهي استئصال الزائدة الدودية. وكان يعاني من تمزق في الزائدة الدودية وخراج. وفي ١٣

مارس ٢٠٠٣، غادر كولتون المستشفى. ولكن بينما كان تود وسونيا يدفعانه إلى المصعد، صرخ الدكتور أوهوليران في الممر طالبًا منهما العودة. وأظهرت فحوصات الدم ارتفاعًا حادًا في عدد خلايا الدم البيضاء لدى كولتون. وكشف التصوير المقطعي المحوسب عن وجود خراجين آخرين في بطنه. في ١٣ مارس ٢٠٠٣، خضع كولتون لعملية جراحية ثانية – استئصال بطني – لتصريف الخراج. وخلال الجراحة، عُثر على ثلاثة خراجات. وفي ١٧ مارس ٢٠٠٣، نصح الدكتور أوهوليران تود وسونيا بأنه لا يوجد ما يمكنه فعله لكولتون. وأوصى بنقله إلى مستشفى دنفر للأطفال. وأغلقت عاصفة ثلجية جميع المخارج بطبقة من الثلج بلغ ارتفاعها قدمين. وفي منزلهم في إمبريال، اجتمعت جماعتهم لحضور اجتماع صلاة. وفي ١٨ مارس ٢٠٠٣، ظهرت على كولتون علامات تعافي مذهلة، وسرعان ما بدأ يلعب كطفل طبيعي. ثم توجه إلى الأشعة المقطعية، التي لم تُظهر أي انسداد. وفي ١٩ مارس ٢٠٠٣، بعد سبعة عشر يومًا من المعاناة، عادت عائلة كولتون إلى إمبريال. ٣ يوليو ٢٠٠٣ – أثناء توجهه لزيارة ابن عمه في ولاية ساوث داكوتا، يروي كولتون أولى قصص الجنة العديدة أثناء ركن سيارته في موقف سيارات أربيز في نورث بلات بولاية نبراسكا. يروي كولتون تدريجيًا المزيد من القصص عن مغامراته في الجنة. ٤ أكتوبر ٢٠٠٤ – ولادة كولبي بوربو، الأخ الأصغر لكولتون. ١٩ مايو ٢٠١٠ – يبلغ كولتون بوربو الحادية عشرة من عمره. ولا يزال يتمتع بصحة جيدة. التأمل في الجنة لقد اكتشفنا أن معظم من يقرؤون هذا الكتاب يجدون أنفسهم يفكرون فيه لفترة طويلة بعد أن يقلبون الصفحة الأخيرة. إذا كنت من أولئك الذين يتساءلون عما سيكون عليه الحال إذا حدث هذا لعائلتك، أو إذا كنت ترغب في التفكير أكثر في الجنة، فراجع الأسئلة أدناه. هناك مجموعتان من الأسئلة – الأولى تستند إلى القصة نفسها والثانية لمساعدتك على التفكير في ماهية هذا المكان المسمى الجنة. والأهم من أي شيء آخر، أود منك أن تعرف أن عائلتنا تصلي من أجلك. نحن ندرك أن

الكثير منكم يمرون بأوقات عصيبة بأنفسهم – سواء في فقدان أحد الأحباء أو ربما الإجهاض – أو ربما تتساءلون عما يفعله الله في حياتكم. شيء واحد مؤكد: الجنة مكان حقيقي. وكما يقول كولتون، ونحن نعلم أنه صحيح، "ستحب ذلك!" – تود بوربو ١. في المقدمة، يقول تود إنه "ذهل لدرجة الصمت" عندما أخبره كولتون لأول مرة عن الذهاب إلى الجنة. كيف سترد إذا أخبرك طفل أنه رأى ملائكة وتحدث مع يسوع؟ ٢. في الفصل ٢، يُطلق على تود اسم "القس أيوب" بعد إصابته بسلسلة من الأمراض الجسدية – كسر في الساق وحصوات في الكلى وسرطان الثدي. هل شعرت يومًا كما لو أن الله يبتليك؟ صف كيف استجبت لله وللآخرين خلال فترة معاناتك. هل يمكنك التعاطف مع اعتراف تود بأنه "غضب من الله" و"شعر بالغرور في استشهاده"؟ ٣. في الفصل الثاني، خصصت جماعة تود وقتًا خاصًا للصلاة من أجله، وبعد ذلك اتصل الدكتور أوهوليران ليبلغهم باختفاء التضخم. هل شهدت أو رأيت شفاءً معجزيًا استجابة للصلاة؟ كيف أثر هذا الشفاء على إيمانك بالله؟ ٤. في الفصل الخامس، يصف تود "ظل الموت"، وهي العلامات الدالة على أن وقت الشخص على الأرض يقترب من نهايته. هل سبق لك أن لاحظت "ظل الموت" على أحد أحبائك؟ صف الظروف وكيف شعرت خلال ذلك الوقت. ٥. في الفصل التاسع، يُنقل كولتون إلى غرفة العمليات الطارئة. يقول تود: "في تلك اللحظة، احتجت إلى استعارة قوة وإيمان بعض المؤمنين الآخرين". صف وقتًا وصلت فيه إلى نهاية قوتك واحتجت إلى "استعارة" إيمان الآخرين. هل سبق لك أن "أقرضت" قوتك وإيمانك لشخص يمر بوقت عصيب؟ ٦. في الفصل التاسع عشر، طلب كولتون من الله أن يرسل له قوس قزح – وقد فعل. هل سبق لك أن صليت من أجل شيء ما وتلقيت إجابة واضحة من الله؟ إذا كان الأمر كذلك، فكيف أثر ذلك على إيمانك؟ كيف أثرت هذه التجربة على وجهة نظرك وممارستك للصلاة؟ ٧. في الفصل ٢٠، يقدم كولتون شرحًا بسيطًا وواضحًا للإنجيل: "أخبرني يسوع أنه مات على الصليب

حتى نتمكن من الذهاب لرؤية والده". كيف يلخص هذا التفسير الطفولي حقيقة الإنجيل؟ ٨. في الفصلين ٢٥ و٢٦، يصف كولتون الملائكة وهم يحملون السيوف ويستعدون لحرب مستقبلية مع الشيطان. هل فكرت يومًا في حقيقة الحرب الروحية؟ كيف يؤثر هذا على وجهة نظرك في سفر الرؤيا؟ ٩. في الفصل ٢٧، يؤكد كولتون على تصوير يسوع الذي رسمته أكيان، وهي طفلة زارت السماء أيضًا في سن الرابعة. كيف يؤثر هذا التصوير المذهل للمسيح على إيمانك؟ هل يغير أيًا من أفكارك حول مقابلة يسوع وجهًا لوجه في السماء يومًا ما؟ ١. إذا كان بإمكانك طرح سؤال واحد على كولتون بوربو حول تجربته في السماء، فماذا ستسأله ولماذا؟ ٢. بعد قراءة هذا الكتاب، هل تتفق مع كولتون على أن "الجنة حقيقية"؟ ولماذا؟ ٣. اذكر طريقة واحدة على الأقل ستختلف بها حياتك لو عشت كل يوم مدركًا لحقيقة الجنة. ٤. بعد تجربة كولتون، يقول تود: "بدأت أفكر في الجنة بطريقة مختلفة. ليست مجرد مكان ببوابات مرصعة بالجواهر وأنهار متلألئة وشوارع من ذهب، بل عالم من الفرح والرفقة". بأي طرق غيرت قصة كولتون طريقة تفكيرك في الجنة؟ ٥. ناقش بعض أوصاف كولتون للجنة في هذا الكتاب. ما التفاصيل التي تبرز لك باعتبارها مشجعة أو مثيرة للاهتمام بشكل خاص؟ كيف تساعدك قصة كولتون على تصور الجنة؟ ٦. ناقش أوصاف كولتون لله ويسوع والروح القدس. بأي طرق تتشابه هذه التفاصيل مع الطريقة التي تصورت بها الثالوث؟ وبأي طرق تختلف؟ ٧. أثناء وجوده في الجنة، التقى كولتون بجده وأخته التي لم تولد بعد، واللتان تعرفتا عليه رغم أنهما لم يلتقيا على الأرض. كيف ستُشعر هذه التجربة من فقد أحباءه وأطفاله الذين لم يولدوا بعد بالراحة؟ اذكر اسم شخص تتوق لرؤيته مجددًا – أو لأول مرة – عندما تصل إلى الجنة. ٨. يصف كولتون لقاءه مع جده في الجنة، قائلاً: "لا أحد يشيخ في الجنة. ولا أحد يرتدي نظارات". ما هي الأمور التي تتطلع إليها وأنت تفكر في كيف أن أجسادنا في الجنة متشابهة ومختلفة في الوقت نفسه؟ ٩. ما تأثير تجربة

كولتون على من يخشون الموت؟ كيف تؤثر هذه القصة على موقفك تجاه الموت؟ ١٠. يُصرّ كولتون: "قال يسوع إنه يحب الأطفال حبًا شديدًا!" كيف يؤثر هذا القول على نظرتك لخدمة الأطفال؟ بأي طرق محددة يمكنك أن تحب الأطفال كما يحبهم يسوع، وتساعد الأطفال على فهم أن يسوع "يحبهم حبًا شديدًا"؟ ١١. كيف يُقارن إيمانك بالله بإيمان كولتون "كإيمان طفل"؟ ١٢. قالت الممرضة في مستشفى نورث بلات لتود: "لا بد من وجود إله، لأن هذه معجزة". كيف تُعزز قصة كولتون إيمانك بالله؟ فكّر في مشاركة هذا الكتاب مع شخص تعرفه قد يحتاج إلى تأكيد على وجود الله ومحبته. ملاحظات: الفصل ٢: القس أيوب ١. متى ١٠: ٢٤. الفصل ٦: نورث بلات ١. صموئيل الثاني ١٢: ١٣-١٤، معاد صياغته. ٢. صموئيل الثاني ١٢: ٢١-٢٣، معاد صياغته. الفصل ٩: دقائق كالأنهار الجليدية ١. متى ٩: ٦. الفصل ١٢: شاهد عيان على السماء ١. مرقس ٩: ٣. ٢. رؤيا ٢١: ١٩-٢٠. الفصل ١٣: أنوار وأجنحة ١. أعمال الرسل ١: ٩-١١. ٢. متى ٢٨: ٣. ٣. أعمال الرسل ٦: ١٥ ترجمة الحياة الجديدة. ٤. رؤيا ١٠:١ (ترجمة نيو لايف). ٥. متى ١٨:٣-٤. ٦. دانيال ١٠:٤-٦. الفصل ١٤: عن وقت السماء. ١. ٢ بطرس ٣:٨. ٢. ٢ كورنثوس ١٢:٢-٤. ٣. رؤيا ٤:١-٣. الفصل ١٨: عرش الله. ١. عبرانيين ٤:١٦. ٢. عبرانيين ١٢:٢. ٣. رؤيا ٢١:٢-٥أ، ٢٢-٢٣. ٤. عبرانيين ١٢:٢. ٥. لوقا ١:١٣-١٥أ، ١٨-١٩. ٦. عبرانيين ١٢:١. ٧. رؤيا ٢١:٢٣. الفصل ١٩: يسوع يحب الأطفال حقًا. ١. رؤيا ٤:٣. ٢. رؤيا ٢١:١٨-٢٠ (ترجمة إي إس في). ٣. متى ٧: ٧، ٩-١١. الفصل ٢٥: سيوف الملائكة ١. لوقا ١٠: ١٨. ٢. دانيال ١٠: ١٣. الفصل ٢٦: الحرب القادمة ١. رؤيا ٩: ٦-١٠ (NKJV). ٢. رؤيا ٢٠: ١-٣، ٧-١٠ (KJV). الفصل ٢٧: يومًا ما سنرى ١. يوحنا ٢٠: ٢٤-٢٩. ٢. أكيان كراماريك، أكيان: حياتها، فنها، شعرها (ناشفيل: توماس نيلسون، ٢٠٠٦). ٣. مرقس ١٠: ١٤. شكر وتقدير: في سرد قصة

كولتون، أتيحت لنا الفرصة للعمل ليس فقط مع محترفين متفانين، ولكن مع أشخاص حقيقيين ومهتمين. بالتأكيد، لقد أُعجبنا بخبرتهم، لكن سونيا وأنا كنا أكثر سعادة بشخصيتهم وقلوبهم. لم يستثمر فيل مكالوم وجويل كنيدلر ولين فينسنت وديبي ويكواير حياتهم في صنع هذا الكتاب فحسب؛ بل أثروا عائلتنا أيضًا. لولا جهودهم الهائلة وأرواحهم الحساسة، لما تطورت الجنة الحقيقية بهذه الروعة. نشكر الله يوميًا على تجميع هؤلاء الأشخاص الموهوبين والموهوبين لمساعدتنا في سرد قصة كولتون. لقد كان كل واحد منهم نعمة لنا. أنا وسونيا نعتبره شرفًا رائعًا أن نطلق عليهم أصدقائنا.

نبذة عن عائلة بوربو

تود بوربو هو راعي كنيسة كروسرودز ويسليان في إمبريال بولاية نبراسكا، حيث تُبث عظاته محليًا كل يوم أحد عبر محطة الراديو المحلية. يعمل تود في شركة أبواب علوية محلية ولكنه في حالات الطوارئ يكون من أوائل المستجيبين كرجل إطفاء متطوع. وهو أيضًا قسيس جمعية رجال الإطفاء المتطوعين بولاية نبراسكا. تخرج تود من جامعة أوكلاهوما ويسليان عام ١٩٩١ بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى بدرجة البكالوريوس في اللاهوت. وقد رُسم كاهنًا عام ١٩٩٤. سونيا بوربو هي أم مشغولة لكاسي وكولتون وكولبي وتعمل مديرة مكتب في شركة عقارات. حصلت سونيا على درجة البكالوريوس في التعليم الابتدائي من جامعة أوكلاهوما ويسليان ودرجة الماجستير في علوم المكتبات والمعلومات من جامعة أوكلاهوما، وهي معلمة معتمدة في ولاية نبراسكا. وقد درّست في نظام المدارس العامة في كل من أوكلاهوما وإمبريال. سونيا شغوفة بخدمة الأطفال ومساعدة النساء اللائي عانين من الخسارة.

نبذة عن لين فينسنت

لين فينسنت هي كاتبة رواية Same Kind of Different as Me الأكثر مبيعًا في صحيفة نيويورك تايمز، وهي قصة الصداقة غير المتوقعة بين تاجر فني أبيض ثري ورجل أمريكي من أصل أفريقي بلا مأوى؛ وكتاب "التمرد: حياة أمريكية"، مذكرات سارة بالين، حاكمة ألاسكا السابقة والمرشحة لمنصب نائب الرئيس. ألّفت فينسنت تسعة كتب، أو شاركت في تأليفها، وعملت لمدة أحد عشر عامًا كاتبةً رئيسية، ثم محررةً للمقالات، في مجلة "وورلد" الإخبارية الوطنية التي تصدر كل أسبوعين، حيث غطّت السياسة والثقافة والأحداث الجارية. لين، وهي من قدامى المحاربين في البحرية الأمريكية، محاضرة في الكتابة بمعهد الصحافة العالمية وكلية كينغز في مدينة نيويورك. تعيش في سان دييغو، كاليفورنيا. لمزيد من المعلومات، يُرجى زيارة com.LynnVincent.www أو LynnVincentonFB/com.Facebook.www. الصور صورة كولتون البالغ من العمر ثلاث سنوات في مرحلة ما قبل المدرسة، أكتوبر ٢٠٠٢ فريق دوك دودجرز، فريق تود وسونيا للكرة اللينة تود على العكازات، ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٢ كولتون وكاسي، عيد الفصح ٢٠٠٢ كولتون يلعب كملاك في ميلاد المسيح المباشر في عيد الميلاد عام ٢٠٠٢ كولتون وتود في عشية عيد الميلاد، ٢٠٠٢ تود وسونيا وكولتون في جناح دنفر باترفلاي، ١ مارس ٢٠٠٣ كولتون يحمل روزي العنكبوت مع أخته الكبرى كاسي تشاهد الصورة من صحيفة إمبريال ريبابليكان لكولتون وتود بعد أسبوع واحد من خروج كولتون من المستشفى حفل عيد ميلاد كولتون الرابع، احتفال حقيقي! ١٩ مايو ٢٠٠٣ كولتون، تود، سونيا، وكاسي في سيوكس فولز، داكوتا الجنوبية، يوليو ٢٠٠٣ كاسي وكولتون يلوحان على التمثال، سيوكس فولز، يوليو ٢٠٠٣ اليوم

الأول لكولتون في الصف الثاني في مرحلة ما قبل المدرسة، سبتمبر ٢٠٠٣ تود يخطب في خدمة رجال الإطفاء الذين سقطوا، ١٢ أكتوبر ٢٠٠٣ تود يقوم بعرض توضيحي لمكافحة الحرائق، صيف ٢٠٠٧ تود وكولتون، نوفمبر ٢٠٠٣ ابن العم آدم وكولتون على طبيعتهما، ديسمبر ٢٠٠٣ كولتون في سن السابعة وكولبي في سن الثامنة عشر شهرًا يلعبان السيوف، ربيع ٢٠٠٦ كولتون، المعروف أيضًا باسم فلاش، أكتوبر ٢٠٠٧ كولبي وكاسي وكولتون في حقل ذرة في نبراسكا، سبتمبر ٢٠٠٦ كولبي وكاسي وكولتون في برانسون، ميسوري، مايو ٢٠٠٧ لورانس باربر، "بوب"، في التاسعة والعشرين من عمره مع الجدة إلين والعم بيل وأم تود، كاي، عام ١٩٤٣. لورانس باربر، "بوب"، في الحادية والستين من عمره أمير السلام من تأليف أكيان كرامر وأبناء عمومته بوربو في سان أنطونيو، مايو ٢٠٠٨. كولتون، آدم في الخلف؛ كاسي، أندرو، كولبي، وبريان في المقدمة. كاسي، تود، كولبي، سونيا، وكولتون في حفل عيد ميلاد تود الأربعين ذي الطابع الرعاة، أغسطس ٢٠٠٨. صديق نولان وكولتون يلعبان كرة القدم بالعلم، خريف ٢٠٠٨. تود، كولتون، وسونيا في احتفال داي ستار دنفر، نوفمبر ٢٠١٠. كولتون يغني، ديسمبر ٢٠١٠، في بارتلسفيل، أوكلاهوما، أول حفل موسيقي للبيانو، ١٧ أبريل ٢٠١١. تود، سونيا، كاسي، كولتون، وكولبي، عيد الفصح ٢٠١١. كولتون يوقع "... وستحبها!"، ١٥ يناير ٢٠١١.